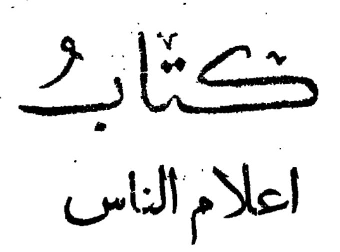

٩٠٤٥٠



بما وقع للبرامكة مع بني العباس

تأليف الامام الفاضل والهمام الكامل محمد
المعروف بدياب الاتليدي رحمه الله
تعالى والمسلمين ونفعنا
به وبعلومه آمين

على التمام

الملتزم
المكتبة الملوكية
بعمارة بوسنة بباب الخلق بمصر
ومبايع الصنادقية بجوار الازهر الشريف بمصر

المطبعة اليوسفية بعمارة بوسنة بباب الخلق بالقاهرة



(الحمد لله) الذى أنزل الكتاب المبين . على أشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه أخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ماكان ومايكون الى يوم الدين نحمده اذ جعلنا من امته ونشكره على عطاءه ومنته ونشهدان لا اله الا الله هووحده لا شريك له اذمن علينا بمعرفة أحوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا ستره اذازل بنا القدم وجعلنا امة عدولا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم فقال تعالى (كنتم خيرامة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)فظهر الفضل بما جاء به وتكرم ونشهدان سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذى قال أدبنى ربى فاحسن تاديبي فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد)فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجزوالتفريط في أيامه وكثير التخليط وزيادة آثامه محمد المعروف بدياب الاتليدى من أقليم المنية الخصيبيه سالنى بعض الاخوان الموفقين ممن لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن الخلفاء المتقدمين من بنى امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمى انى لست أهلا لذلك فقدقالوا الامتثال خير من الادب وسميته (اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس) وابتدات فى ذلك بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبركا به وذكره (قيل) لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها فقالت مافعل عمر رضى الله عنه قال قد أقبل من الشام سالما فقالت ياهذا لا جزاه الله خيرا عنى قال ولم قالت لانه ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المسلمين دينارا ولا درهما فقال ويدرى عمر بحالك وأنت في هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ماظننت ان أحدا ولى على الناس ولا يدرى مابين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى عنه فقال واعمراه كل احد افقه منك حتى العجائز ياعمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر فانى ارحمه من النار فقالت لا تهزا بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينماهو كذلك اذا أقبل على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك ياأمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المومنين فى وجهه فقال لها عمر لا باس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا بخمسة وعشرين دينار افماتدعى عليه عند وقوفه في المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منه شهد على وابن مسعود ثم دفعها الى

ولده وقال له اذا أنامت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربي (وقال) شرف الدين حسين بن ربان انه بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جالس فى بعض الايام عنده أكابر الصحابة واهل الراى والاصابه اذا اقبل شاب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من أحسن الشبان نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين ولبياه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما فامرهما بالكف عنه فادنياه منه وقالا يا أمير المؤمنين نحن اخوان شقيقان، جديران باتباع الحق حقيقان، كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله، ربانا صغارا وأعزنا كبارا وأولادنا نعما غزارا كما قيـل

لنــا والد لوكان للناس مثله ... اب آخر اغناهموا بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه فى اشجارها . ويقطع يانع ثمارها . لقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسالك القصاص بما جناه . والحكم فيه بما اراك الله فنظر عمر الى الشاب وقال له. سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش. خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع . ونزع جلباب الجزع، فتبسم عن مثل الجمان تكلم بافصح لسان ، ثم قال، ياامير المؤمنين والله لقد وعيا ،ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى، وعبرا بما ترى، وسانهى قصتى بين يديك ،والامر فيها اليك، اعلم يا أمير المؤمين انى من العرب العرباء ابيت فى منازل البادية واصبح على اسود السنين العادية ،فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فامضت بي بعض طرائقها الى المسير بين حدائقها ،بنياق جبيبات عزيزات على ،بينهن فحل كريم الاصل، كثير النسل مليح الشـكل ،حسن النتاج ، يمشى بينهن كانه ملك عليه تاج فدت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها، فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد زمجر وزفر، وتسور الحائط وظهر وفى يده اليمنى حجر، يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله،وأصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط ولجنبه انقلب، توقدت فى جمرات الغضب . فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فـكان سبب حينه : ولقي سوء منقلبه. والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمة ، وصرخ صرخة اليمة فاسرعت من مكانى . فلم يكن باسرع من هذين الشابين فامسكانى واحضرانى كما ترانى فقال عمر: قد اعترفت ! بما اقترفت وتعزر الخلاص ،ووجب القصاص ولات حين مناص : فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما تقضيه شريعة الاسلام. لـكن لى اخ صغير كان له اب كبير . خصه قبل وفاته بمال جزيل : اوذهب جليل ، واحضره بين يدى واسلم امره الى، واشهد الله على ،وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك، فاتخذت

لذلك مدققا ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا ، فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت انت السبب، وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه،وان انظرتني ثلاثة ايام، اقمت من يتولي امر الغلام، وعدت وافيا بالذمام ولي من يضمني على هذا الكلام ، فاطرق عمر، ثم نظر الى من حضر، وقال من يقول على ضمانة، والعد الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين،واشار الى ابي ذر دون الحاضرين قال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر : يااباذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه ثلاثة ايام : فرضي الشابان بضمان ابى ذر .وانظراه بذلك القدر فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول وقد زال الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابوذر قد حضر .والخصم ينتظر فقال ابن الغريم يا اباذر كيف يرجع من فر فقال ابوذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت الضمان واسلمت نفسى والله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لامضين في ابي ذر مااقتضه شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج . فعرض كبار الصحابة علي الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنينية فاصرا على عدم القبول ، وابيا الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلفتا امر و يضجون تاسفا بابي ذر،اذا اقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه اتم السلام،ووجهه ينهال مشرقا،وقال قد أسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بخفي أمواله وأطلعتهم على مكان ماله،ثم اقتحمت هاجرات الحر وفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من عذر،لم يعف عنه من قدر، ومن رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبوذر والله باأمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أى قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمني فلم استحسن رده، وابت المروءة ان تخيب قصده، فقال الشابان عند ذلك ياأمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا،فاستبشر الامام،بالعفو عن الغلام، وصدقه ووفائه واستغزر مروءة أبي ذردون جلسائه، واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف واثنى عليه احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه لايذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية أبيهما فقال أنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لايتبع احسانة منا ولا أذى (وأحضر) الهرمزان بين ايدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلني اسقني شربة من الماء

ولا تقتلني ظمان فامر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى أشرب به قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقي الهرمزان الاناء من يده فأراقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى أنظر في أمره فلما رفع السيف عنه قال أشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله قال عمر لقد اسلمت فما اخرك قال خشيت ان يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش الى أرض فارس و يعمل برأيه اه (ومما ذكر) عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة ابن الايهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقال عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك أو ماهذا فقال لعمر وهل أستوي انا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد افلما أصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة | وما كان فيها لوصبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة | فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني | رجعت الى الامر الذي قاله عمر
ويا ليتني ارعى المخاض بقفره | وكنت اسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة | أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

(ولما) تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل بالاموال والضياع ثم ان عمر رضي الله عنه بعث رسولا الى قيصر يدعوه الى الاسلام أو الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت عمك يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتني قال فذهب الى دار جبلة فاذا عليه من القهارامة والحجاب البهجة وكثرة الجميع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل اتلطف بالاذن حتي أذن لي فدخلت عليه فرأيته قاعدا على سرير من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه على السرير فجعل يسالني عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت له قد اضعفوا اضعافا على ماتعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت الغم في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبي الكرامة التي اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبال على ماقعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت ويحك ياجبله ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعدما كان مني قلت نعم قد فعل رجل من فزاره اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام لان الرجل الذي كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا أيضا فقلت له أن أمرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب

أوجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ان كنت تضمن لى عمر ان يزوجني ابنته ويوليني الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت التزوج ولم أضمن له توليه الامر ثم أوما الى خادم كان على راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق بها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت رسول الله صلي الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما احببت قال فاكل في الذهب واكلت انا فى الخلنج ثم دعا بطشوت الذهب واباريق الفضة فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اوما الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على راسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم ار أحسن منه وفي يدها جامه فيها مسك فتيت وفى يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومات تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامه ماء الورد فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومات اليه فطار ثم نزل على صليب فى تاج على جبلة فلم تزل يرفرف حتى تفض مافى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى على يمينه فقال لهن اضحكننا فاندفعن يغنين يخفقن عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الاول

الى قوله : أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد قبريص عليهمو ... برد يصفق بالرحيق السلسل

فضحك جبلة ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبي ثم اشار الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين ويخفقن عيدانهن ويقلن لمن الدار قفرت بمعان ... بين أعلى اليرموك فالجمان

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر ... وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتي سال دمعه على لحيته ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التى اولها * تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألنى عن حسان أحي هو قلت له نعم فامر له بكسوه وانا ايضا كذلك ثم امر الى حسان بمال ونوق موفورة براثم قال لى ان وجدته حيا فادفع اليه الهديه واقرءه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه على وما ضمنته له قال فهلا ضمنت له الامرة فاذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزني ثانيا الى هرقل وامرني ان اضمن له ما اشترطه فلما دخلت

القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته (وقيل) إنه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن ابي وقاص فقال من يعزرني من أهل الكوفة ان وليتهم التقى صعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة بن شعبة يا أمير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى الفاجر لك بقوته وعليه فجوره قال صدقت أنت القوى الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وعثمان ومعاوية حتى مات (وقيل) دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر اخبرني عن أجبن من لقيت واحيل من لقيت وأشجع من لقيت قال خرجت مرة اريد الغارة فبينما انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز ورجل جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محمل بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معد يكرب الزبيدى فشهق شهقة فمات فهذا اجبن من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت الى حي فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذ صاحبه في وهده يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك قال وما أنت فاعلمته بي فقال يا ابا ثور ما انصفتني اعطني عهدا انك لا تقتلني حتى أركب فرسي مثلك فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذى كان فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال وما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم بناكث العهد فتركته وغضيت فهذا أحيل من رايت . وخرجت حتى انتهيت الى موضع كنت اقطع فيه الطريق فلم اراحدا فاجريت فرسي يمينا وشمالا واذا انا بفارس فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل ما رايت من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك فمن انت قلت عمرو بن معد يكرب الزبيدى قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك الا استصغارك فتصاغرت على نفسي يا امير المؤمنين وعظم عندى ما استقبلني به فقلت له دع هذا خذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف الا احدنا فقال اذهب ثكلتك امك فانا من اهل بيت ما لكنا فارس قط قلت هو الذى تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان تطردلي واما ان اطردلك فاغتنمتها منه فقلت له اطردلى فاطرد وحملت عليه فظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة راسي وقال خذها اليك واحدة ولولا انى اكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسي وكان الموت احب الى مما رايت فقلت له والله لا ينصرف الا احدنا فعرض مقالته الاولى فقلت له اطردلي فاطرد فظننت انى تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو صار لبدا لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة راسي

وقال خذها اليك ثانية فتضاعرت على نفسي جداً وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطرد حتى ظننت اني وضعت الرمل بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو على الارض فاخطاته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة راسي وقال خذها اليك ثالثة ولولا كراهتي لقتلي مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الي ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال ياعمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك في الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان ... انعدت ياعمرو الى الطغيان

لتجدن لهب السنان ... اولا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لي حاجة قال وماهي قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابي فكان ذلك اشد علي واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدري اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريده معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من احياء العرب فقال لي ياعمر وفي هذا الحي الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسي فانزل وآتي بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتاتيني بحاجتي فقلت بلي انزل انت فانت اخبر بحاجتك مني فرمى الي بعنان فرسه ورضيت بان اكون له سائسا ثم مضي الى قبة فاخرج منها جارية لم ترعيناي احسن منها حسنا وجمالا فحملها علي ناقته ثم قال ياعمرو فقلت لبيك قال اما ان تحميني واقود الناقة واحميك وتقودها فقلت احميني انت فرمى الي بزمام الناقة ثم سرنا حتى اصبحنا قال ياعمرو قلت ماشانك قال فالتفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرايت رجالا فقلت اغذ السير ثم قال ياعمر وانظران كانوا قليلا فالجلد والقوة فهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة أو خمسة قال اغذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال ياعمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخوها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن أخي فقال ما كنت لاجلبها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارس وهو يقول

من دون ما نرجوه خصب الرابل ... من فارس ملثم مقاتل

ينمى الى شيبان خير وائل ... ماكان يضرى نحوها بباطل

ثم شدد عليه يطعنه قدمنها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الاخر اخرج اليه فاقبل الحارس وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقوم الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي ... فقتلي اليوم ولا مذلتي

ثم شد عليه بطعنه سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخى فانى لست كمن رايت فقال لا فقال الشيخ يا ابن اخى اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول

ما ارتجى عند فناء عمر ... سأجعل التسعين مثل شهر
تخافنى الشجعان طول دهرى ... ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارس وهو ينشد و يقول

بعد ارتحال ومطال سفرى ... وقد ظفرت و شفيت صدرى
فالموت خير من لبا الغدر ... والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخى ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربنى وان شئت فاضربنى فان ابقيت فى بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال انا ابدا فقال الشيخ هات فرفع الحارس يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد هوى به الى راسه ضرب بطنه بطعنة فقدمنها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على راس الشيخ فسقطا ميتين فاخذت اربعة افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى أين ولسنا باصحاب ولست كمن رايت فقلت اسكتى فقالت ان كنت لى صاحبا فاعطنى سيفا اورمحا فان غلبتنى فانا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما انا بمعطك ذلك وقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتى ... يطيب عيشى بعدهم ولذتى
واصحبن من لم تكن ذاهمة ... هلا تكون قبل ذا منيتى

ثم هودت الى الرمح وكادت تنزعه من يدى فلما رأيت منها ذلك خفت ان ظفرت بى قتلتنى فقتلتها فهذا أشجع من رأيت (قيل) اتى رجل الى عمر ابن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضى الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت أقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي أريد بها زواجها فنزلت الى حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذودته الى الحوض فساور المرأة فنادتنى فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ رأسي بين عضديه وجنبيه فما استطعت لتحرك حتى قضي وطره منها فقالت أى فحل هذا فامهلته حتى امتلا نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه فتناول رجله فرمانى بها فاخطأنى وأصاب رأس بعير فقتله فقال عمر رضي الله عنه مافعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال فلم يزده ففطن انه قتلها (ويحكى) ان عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت

يوما زجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجاريه مستنقين نائمين فقالت افعلتها قال لم أكن فاعلها قالت فاقرأ فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بان وعد الله حق — وأن النار مثوى الكافرين
وان العرش فوق الماء طاف — وفوق العرش رب العالمين
وتحمله ملائكة كرام — ملائكة الاله مسومين

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها و يقول كيف قلت اه

(اول دولة بنى أمية معاوية بن ابي سيفان رضى الله عنهما)

جلس معاوية يوما فى مجلس بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذا نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتامله وقال لجلسائه هل خلق الله اشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شىء لاعطينه او مظلوما لا نصرته ياغلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاء بك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم وانشد

اتيتك لما ضاق فى الارض مذهبي — فيا غوث لا تقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذي — بلانى بشىء كان ايسره قتلي
سبانى ابن سعد وانبري لخصومتى — وجار ولم يعدل واغصبني اهلى
وهم بقتلي غير ان منيتى — تانت ولم استكمل الرزق من اجلى

فلما سمع معاوية كلامه قال له مهلا يا اخى العرب اذكر قصتك وابن لى عن امرك فقال يا امير المؤمنين كانت لى زوجة وكنت لها محبا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لى جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالى وكفاية اودي فاصابتنا سنة اذهب الخف والحافر فبقيت لا املك شيئا فلما قل ما بيدي وذهب مالى وفسد حالى بقيت لهما ثقيلا على الذى يالفنى وابعدنى من كان يشتهى قربى فلما علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المال اخذها منى وجحدنى وطردنى فاتيت الى عاملك مروان ابن الحكم لنصرني فلما احضر اباها وسأله عن حالى فقال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها ففعل فلما حضرت ووقعت منه موقع الاعجاب فصار لى خصما وعلى منكرا واظهر لى الغضب وبعث بي الي السجن فبقيت كانما خررت من السما اواستهوت بى

الريح فى مكان سحيق ثم قال لا بيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وا ناضامن خلاصها من هذا الاعرابى فرغب ابوها فى البذل واجا به الى ذلك فلما كان من الغد بعث الى واحضرنى وقال طلق سعاد فقلت لا فسلط على جماعة من غلمانه فاخذوا يعذ بونني فلم اجد لى بدأ من طلاقها ففعلت فاعادني الى السجن فمكثت فيه الى ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقني وقد اتيتك راجيا وبك مستجيراً واليك ملتجأ وانشد

فى القلب مني غرام   للنار فيه استعار   والجسم مرمي بسهم   فيه الطبيب يحار
وفى فؤادى جمر   والجمر فيه شرار   والعين تهطل دمعا   فدمعها مدرار
وليس الا بربي   وبالامير انتصار

ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى بن الحكم فى حدود الدين واظلم واجترأ على حرمة المسلمين ثم قال لقد أتيتني يا اعرابى بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه: انه قد بلغنى انك تعديت على رعيتك فى حدود الدين وينبغى لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعد كلام طويل اختصرته وأنشد يقول

وليت أمرا عظيما لست تدركه   فاستغفر الله من فعل أمرىء زاني
وقد أتانا الفتي المسكين منتحبا   يشكو الينا ببث ثم احزانى
اعطى الاله يمينا لا يكفرها   شيء وأبرا من ديني وايماني
ان انت خالفتنى فيما كتبت به   لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة   مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما فى المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزها وصحبتهما ثم كتب مروان كتابا يقول فيه

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد   اوفى بنذرك فى سر واعلان
وما أتيت حراما حين اعجبنى   فكيف ادعي باسم الخائن الزاني
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت   فيك الاماني على تمثال انسان
فسوف ياتيك شمس ليس يدركها   عند الخليفه من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الي الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب فقراه وقال لقد احسن في الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها راي

صورة حسناء لم يرا حسن منها فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال علي بالاعرابي فاتي به وهو في غاية من تغير الحال فقال يااعرابي هل لك عنها من سلوة واعوضك عنها ثلاث جوار نهدا بكار مع كل جارية الف دينار واقسم لك في بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك فلما سمع الاعرابي كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه مات بها فقال له معاوية مابالك فقال الاعرابي استجرت بعدلك من جوار ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد:

لا تجعلني فداك الله من ملك كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب يمسي و يصبح في هم وتذكار
اطلق وثاقي ولا تبخل على بها فان فعلت فاني غير كفار

ثم قال ياأمير المؤمنين لو أعطيتني الخلافة ما اخذتها دون سعاد وأنشد يقول

ابي القلب الاحب سعدى و بغضة على نساء مالهن ذنوب

فقال له معاوية انت مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك زوجناها وان اختارتك حولناها اليك فقال افعل فقال ماتقولين ياسعاد ايهما أحب امير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وامواله ومابصرتيه عنده اومروان ابن الحكم في تعسه وجوره اوهذا الاعرابي في جوعه وفقره فانشدت هذا

وان كان في جوع واضرار اعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج اومروان عامله وكل ذي درهم عندي ودينار

والله ياامير المؤمنين ماانا بخاذلته لحادثة الزمان وغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وانا احق من ان يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها ووفائها فدفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف (ومن ثمرات الاوراق) عن الاجوبة الهاشمية و بلاغتها في المحل الرفيع انه اجتمع عند معاوية عمر و بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة ابن ابي سيفان والمغيرة ابن شعبة فقالوا ياامير المؤمنين ابعث لنا الحسن ابن علي يحضر لدينا فقال لهم ولم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لم تطبقوه ولن تنصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم فأرسل معاوية فلما حضر يقول لكم ببلاغته شيئا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فقال معاوية ياحسن اني لا ارسل ولكن هؤلاء ارسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه ثم قال ياحسن هل تعلم ان اباك اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله تعالى به ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يابني هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم و يفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا ذنب ثم قام عتبة ابن ابي سفيان فقال

ياحسن ان اباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها الله منه ولقد اردنا قتل ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة ابن شعبة وقال كلاماسبا لعلي وتعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وقال بك ايضا يامعاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت شتمتني بغضا وعداوة وخلافة لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال ابي انشدكم الله ان الذي شتمته هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله وصلى الى القبلتين وانت يامعاويه كافر تشرك بالله وكان مع ابي لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدرولواء المشركين معك ثم قال انشدكم الله اما كان معاوية يكتب لجدي محمد صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يا كل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو ياكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه اما تعرف ذلك من بطنك ثم قال وانشدكم الله الا تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على جمل واخوه هذا يسوقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماقال وانت تعلم ذلك اما انت ياعمر وفقد تنازعك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الابهم وهو اقلهم حسبا واسواهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت انى شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انى لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما عملت وعلمت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلا نلومك على بغضك الان واما انت يا ابن ابي معيط فكيف نلومك على سبك لابي وقد جلدك ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي بامر ربي ولما قدمه للقتل قال ما للصبية بعدي يامحمد فقال جدي لهم النار فلم يكن لهم عندي غير النار ولم يكن لهم عند ابي غير السوط واما انت ياعتبة فكيف تعيب احدا بالقتل ولا تعيب نفسك فلم لا قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففي اي شيء نسبت عليا الى بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحاكم جائر في رعيته في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها اسكتي فاني اريد ان اطير فقالت لها ما علمت بوقوعك فكيف يشق علي طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون منه فهو الله لقد أظلم علي البيت حين قال (وروى) ان معاوية خرج بوما حاجا فمر بالمدينة وفرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر الحسن بن علي فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفذ ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال الحسن رضي الله عنه كيف ينفذ ما عندك وخراج الدنيا يجيء اليك فقال له قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة الزهراء * وقيل

ان معاوية جالس يوما مع اصحابه اذا اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديها انظروا هؤلاء القوم وانوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين احدهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يانونا واما هل اليمن فينزلون في اماكنهم الى ان تأذن لهم في الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار و يقولون ماليس فيهم واني اريد اذا دخلوا غدا واخذوا اماكنهم من الجلوس ان اقيم فيهم نذيرا والقى عليهم من المسائل ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون يا اهل اليمن لم اخركم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لانه في غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذتم اماكنكم من الجلوس وسالكم عن شيء فلا يجيبه احد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال ايها الناس من تكلم فالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا امير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كانه ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا فقرأ العربية ونداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس انتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع راسه وقال يا ايها الناس من اقوى العرب ايمانا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فاويناه ونصرناه فانزل الله (والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنين حقا) وكان النبي صلى الله عليه وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلما لم تعمل انت كذلك كأنك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهد بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرا القيس بن جعفر الكندي قال في بعض قصائده

يطعمون الناس غبا * في السنين الممحلات * في جفان كالجوابي * وقدور راسيات وقد تكلم بالفاظ جاء مثلها في القرآن وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال ايها الناس من اقوى العرب شجاعة واذكروا من شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال وبذلك قال لان منا عمرو بن معديكرب الزبيدي كان فارسا في الجاهلية وفي الاسلام شهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية واين انت وقد اتى به مفصدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به قال معاوية أتى به علي قال الطرماح والله لو علمت مقداره اسلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيها ابدا فقال له معاوية اتجبني يا عجوز اليمن قال نعم أحجك

یاعجوز الیمن لان عجوز مصر بلقیس آمنت باللہ وتزوجت نبیها سلیمان بن داود علیه السلام
وعجوز مصر جدتك التی قال اللہ فی حقها (وامرأته حمالة الحطب فی جیدها حبل من مسد) قال
فسکت معاویة زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك اللہ خیرا من صاحب واعطاه وأحسن الیه انتهی
(حکایه اجنبیه عن انتقام) یحکی ان بهرام لما ولی الملك بعد أبیه أقبل علی اللهو واللذات والتنزه
والصید ولا یفکر فی ملکه ولا فی رعیته حتی خرجت البلاد من یده وخربت فی أیامه وخلت
بیوت الاموال ففی بعض الایام رکب الی بعض منازهه وصیده وهو یسیر نحو المدائن وکانت
اللیله مقمرة فدعا بالموبذان وهو عند المجوس کالحاخام عند الیهود والقسیس عند النصاری
لامر خطر بباله فجعل یحادثه فتوسطا فی سیرهما بین خرابات کانت امهات الضیاع قد خربت
فی مدة ملکه لا انیس فیها الا الیوم واذا ببوم یصیح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال
بهرام اتری ان احدا من الناس اعطی فهم لغة هذا الطائر المصوت فی اللیل فقال الموبذان ایها
الملك انا ممن خصص اللہ بذلك قال فماذا یقول هذا الطائر وما یقول الطائر للاخر فقال هذا
ذکر یخاطب بومة یقول لها متعینی بنفسك حتی یخرج من بیننا اولادا یسبحون اللہ ویبقی لنا
فی هذا العالم عقب یکثرون الترا حم فقالت ان الذی تدعونی الیه فیه الحظ الاکبر والنصیب
الاوفر فی العاجل والاجل الا انی اشترط علیك خصالا ان اعطیتها اجبتك الی ذلك فقال
لها الذکر وما تطلبینه منی قالت ان تعطینی من خرابات امهات الضیاع عشرین قریة مما
خربت فی أیام هذا الملك السعید فقال له الملك فما الذی قال لها الذکر قال من قوله اذا دامت ایام
هذا الملك السعید اعطیتك منها الف قریة خراب فما تصنعین قالت فی اجتماعنا یحصل ظهور
النسل وکثرة الذکورة فنطعم لکل ولد من اولادنا ضیعة من هذه الخرابات فقال الذکر هذا أسهل
امر سألتنیه وانا ملیء بذلك ما حیا هذا الملك فلما سمع هذا الکلام من الموبذان تاثر من نفسه
واستیقظ من نومه وفکر فیما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان
فقال ایها القائم بامر الدین الناصح للملك والمنبه له عما اغفله من امور ملکه واضاعة بلاده
ورعیته ماهذا الکلام الذی خاطبتنی به فقد حرکت ما کان ساکنا فقال صادفت من الملك
السعید وقت سعید العباد والبلاد فجعلت الکلام مثلا وموعظة علی لسان الطائر عند سؤال
الملك ایای عما سال فقال له الملك ایها الناصح اکشف لی عن هذا الغرض ما المراد منه فقال
ایها الملك ان الامر لا یتم الا بالشریعة والقیام للہ بطاعته والاقدام للشریعة الا بالملك ولا
عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجل الا بالمال ولا سبیل للمال الا بالعمارة ولا سبیل للعمارة الا
بالعدل وهو المیزان المنصوب بین الخلیفة نصبه الرب وجعله قیما وهو الملك فقال اما ما وصفت
فحق فاین لی عما الیه تقصد وضح لی فی البیان قال نعم انك عمدت للضیاع فاقطعتها الخدم وأهل
البطالة فعمدوا الی ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا من المنفعة وترکوا العمارة والنظر فی العواقب
وما یصلح الضیاع وسوحوا فی الخراج لقربهم من الملك ووقع الحیف علی الراعیة فانجلوا عن

ضياعهم وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من طاف بهامن الملوك والامم لعلمهم
بانقطاع المواد التي بسببها بستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام فى منزله ثلاثة ايام
واحضر الوزراء والكتاب وار باب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدى الخاصة
والحاشية وردت الى ار بابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا فى العمارة وقوى
من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عندا الجبابرة وقويت
الجنود وانقطعت موارد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم
ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل
(حكاية اخرى أجنبيه) حكي عن الاصمعى انه قال دخلت البصرة ار يد بادية بنى
سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسرى فدخلت عليه يوما فوجدت قوما
متعلقين بشاب ذى جمال وكمال وادب ظاهر بوجه ظاهر حسن الصورة طيب الرائحة
جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسالهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه
البارحة فى منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه
وساله عن قصته فقال له ماحملك على ذلك وانت فى هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى
الشره فى الدنيا وبذى قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك فى
جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير
وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى (وما الله بظلام للعبيد) فسكت
خالد ساعة يفكر فى امر الفتي ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤوس الاشهاد قدرابنى
وانا ما اظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرنى بها فقال ايها الامير لا يقع فى نفسك
سوى مااعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت
منها مالا فادركونى واخذوه منى وحملوني اليك فأمر خالد بحبسه وأمر مناديا ينادى
فى البصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما
استقر الفتي في الحبس ووضع رجليه فى الحديد تنفس الصعداء ثم انشد يقول

هددني خالد بقطع يدى ... ان لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذى اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون به فأتوا خالدا وأخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر
استنطقه فرآه أديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به وامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال
له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن
السرقة فانكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع لقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم. ادرؤا الحدود بالشبهات ثم أمر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة

رجل ولا امرأة الاحضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فاقبل يحجل فى قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكي عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والتحيب فامر تسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه ويأبي الله الا ما أراد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جاريه من صف النساء وعليها ازار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد ان تقع منها فتنه ثم نادت باعلى صوتها لا تعجل ايها الامير بالقطع ووضعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا مكتوب فيها

أخالد هـذا مستهام متـيم رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه حليف الجوي من دائه غير فائق
أقـر بما لم يقـترفه لانه راى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه كريم السجايا فى الهوى غير سارق

فلما اقرا الابيات تنحى واعتزل عن الناس واحضر والمراة ثم سالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها مكانه فرمي بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصمدوا اليه فلما احسن بهم جمع قماش البيت كله وجعله صره فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوه لك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبله ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم فى هذا الفتى بالقطع وان الله عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تأذن لى فى تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنه للفتى قد زوجتك هذه الجاريه فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت هذا التزويج وامر بحمل هذا المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا الى منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب

منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكايه تشابه ماتقدم) (قال حماد الرواية) كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذاتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الاميراني وجدت هذه وهذا مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ماتقول فقال الفتى صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ماامكنني الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول

تمنيت من ربى افوز بقربهــا   فلمــا تهيا الى المنا عاقه العسر

فــوالله بل والله ما كان ريبة   وما كان الا اللفظ والضحك والبشر

فدونكم جلدى ولا تجلدونها   فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكي بكاء شديدفقال لها وانت لم تبكي بكاء شديدا فقال والله شفقة ممــا حل به وكيف احتلت حتى حوجت وكيف بلينا بهذه البلية قال انجبتيه قالت فلم غررت بنفسي قال لها انت حرة أم مملوكة قالت بلى مملوكة فامرها فدخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائة دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها فقال الفتى

لقدجدت ياابن الاكرمين بنعمة   جمعت بهــا بين المحبــين فى ستر

فلازلت بالاحسان كهفا وملجا   وقدجل ما كان منك عن الشكر

(فى ايام دولة الملك ابن مروان) وهو اول من تسمى عبدالملك في الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حيات الحيوان وذكر محمد ابن الهيثى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه . بسم الله الرحمن الرحيم الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات نهدا بكارا يكونين اليهن المنتهى في الجمال واكتب بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم امرهم بما امر به امير المؤمنين وأمرهم ان يغوصوا فى البلاد فغاصوا حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهدا بكار موالدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعنى الله تعالى ببقائه يامرفيه ان اشترى له ثلاث جوار مولدات نهدا بكاروان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العين حمراء الوجنتين قدانهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فى طرفها دعج يزينها   كانها فضــة قد شــابها ذهب

وثمنها ياامير المؤمنين ثلاثون الف درهم . واما الجاريه الثانية فانها فائقة فى الجمــال معتدلة القدر والكمال يشفى السقيم من كلامها الرخيم وثمنها ياامير المؤمنين ثلاثون الف درهم . واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عظيمة الردف شاكرة

للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف غزال وثمنها ثلاثون الف درهم وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير انى رجل كبير وضعفت عن السفر ولى ولد ينوب عني أفتأذن لى ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت ريح فانكشفت احداهن وهي الكوفية وكان اسمها مكتوما فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعه فاتاها وجعل يقول امكتوم عيني لا تمل من البكا وقلبي باسهام الاسى يسترشق

امكتوم كم من عاشق قتل الهوى وقلبي رهين كيف أتحشق

فاجابته بقول لوكان حقا ما تقول لزرتنا ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انقض ابن النخاس بسيفه واتي نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن أصحابه فأخذوه واوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الي ان قدموه الى عبد الملك فلما قدموا بالجوارى بين يديه اخذ الكتاب وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها صفره وهي الكوفية فقال النخاسين مابال هذه الجارية لم توافق الصفة التي ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها وهذا الانتحال فقال ياأمير المؤمنين نقول وعلينا الامان فقال ان صدقتم آمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتي وهو بالحديد فلما قدموه بين يد أمير المؤمنين وأخبروه بما فعل بكي بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشد يقول أمير المؤمنين اتيت رغما وقد شدت الى عنقي يدايا

مقرا بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا

فان تقتل ففوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود علينا

فقال يافتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجاريه قال وحقك ياامير المؤمنين وعظمة قدرك ماهو الاهوى بالجارية فقال وهي لك بما اعدها فاخذها الغلام بما اعده لها من الحلي والجمال وساربها فرحا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل مروا عليهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ومضى خبرهما الي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكي عليهما اهـ

(وهذه حكاية اخرى) حكي عن عبد الله بن معمر القيسى انه قال حججت سنة الى بيت الله الحرام ولما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبي صلي الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة بين القبر والروضة اذ سمعت انينا عاليا وحنينا بادبا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

أشجاك نوح حمائم السدر فاحن منك بلابل الصدر ام عزنومك ذكر غانية

أهدت اليك وساوس الفكر ياليلة طالت على دنف يشكو الغرام وقلة الصبر

اسلمت من يهوى لحرجوى متوقد كتوقد الجمر فالبدر يشهد انني كلف
مغرى بحب شبيهة البدر ما كنت احسبني بهاشجنا حتى بليت وكنت لا أدرى
(قال) ثم انقطع الصوت ولم أدرما جاءني فبقيت حائراواذا به قد أعاد البكاء والحنين
وأنشأ يقول اشجاك من ر باخيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتيك الهوى برسيسة واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه يم تلاطم فيه بحر زاخر
والبدر يسرى في السماء كانه ملك ترحل والنجوم عساكر
ياليل طلت على محب ماله الا الصباح مساعد ومؤازر
فأجابني مت حتف انفك واعلمن ان الهوى لهو الهوان الحاضر
قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى الى آخر الابيات الاوانا عنده
فرايته غلاما سال عذاره وقد حرق الدمع في وجنتيه حرقتين فقلت نعمت غلاما
قال وانت فمن الرجل قلت عبدالله بن معمر القيسي قال الك حاجة قلت له كنت
جالسا في الروضة فما راعني هذه الليله الاصوتك فبنفسي افديك ماالذي تجده قال
اجلس فجلست قال انا عتبة بن الخباب بن المنذر ابن الجوح الانصاري غدوت
الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت غير بعيدا فاذا بنسوة يتهادين
كالاقمار في وسطهن جارية بديعة الجمال كامله الملاحة فوقفت على وقالت ياعتبة
ماتقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرولا وقفت
لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض
مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم انشا يقول هذه الابيات
اراكم بقلبي من بلاد بعيدة ترى ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم وعندكم روحي وذكركم عندى
ولست الذ العيش حتى اراكم ولو كنت في الفردوس اوجنة الخلد
قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستقل عن ذنبك فان بين يديك هول المطالع فقال
هيهات ما انا بسائل حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى
مسجد الاحزاب فقمنا اليه صلينا الظهر واذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست
فيهن فقلن ياعتبة ماظنك بطالبه وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها
وارتحل الى السما فسالتهن عن الجارية فقلن هي ر ية بنت الغطريف السلمي فرفع
رأسه وانشد يقول خليلي رياقد اجد بكورها وسار الى أرض السماوة غيرها
خليلي اني قد عييت عن البكا فهل عند غيرى عبرة استعيرها
فقلت له ياعتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلته امامك
حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى اشرفنا على

ملئهم فسلمت واحسنوا الرد ثم قلت ايها الملا ما تقولون في عتبة وابيه من سادات العرب قلت فانه مرمى بداهية من الهوى فاريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وأنت حييت انا لك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادى يامعشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنائم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الخضاب ابن المبذر المعالي المفخر الطيب العنصر فقال ياأخي ان التي تخطبونها امرها الى نفسها وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الى ريا فقالت ياابت مالي ارى الغضب بين عينيك فقال ورد لي قوم من الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم المن الخطبة فيهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفي بما وعد ويدرك ماطلب قال اقسمت لا ازوجنك به ابدا فقد نما الى بعض حديثك معه قالت ماكان ذلك ولكن أقسمت اني ماأزوجك به قالت احسن اليهم فان الانصار لا يردون رداً قبيحا فاحسن الرد قال باي شيء قالت أغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال احسن ماقلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكن اريد لها مثل مهرها فمن القائم به قال عبد الله انا فقال اريد لها الف سور من ذهب احمر وخمسة الاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الايرار والحبر وخمسة اكرشة من العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله رجلا من الانصار الى المدينة المنورة فاتوا بجميع ماضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال اربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف وانصرف وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحله خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة ابن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتينا النجدة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية فالقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه الجارية وصارت تصيح وتقول تصبرت لاني صبر وانما اعلل نفسي انها بك لاحقه

ولوانصفت روحي لكانت الى الردى امامك من دون البريه سابقة

فمااحد بعدي وبعدك منصف خليلاولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناها التراب ورجعت الى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز واردت المدينه المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا شجرة عليها اغصان حمر وصفر

وخضر فقلت لارباب المنزل مايقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليله وانصرفت (ومثل ماتقدم من العشق ماورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه) ماحكى عن بعض المغرمين من ذوى النعم قال بينما انا فى منزل اذ دخل علي خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب ودفع الى هذا الكتاب ففتحته فاذا فية شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا ونجاك المليك من الهموم
فعندك لومننت شفاء نفسي واعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله قلت للخادم ائتنى به فخرج فلم يرأحدا فتعجبت من امره واحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسا لتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت اني لم افعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتي فهي هبة مني له بمالها ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره علي ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائه دينار وقلت من عرف شيئا فليا خذه فمكث الكتاب والذهب اياما لاياخذه احد فغمني ذلك فمنعت من يخرج من جواري من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائهم بعث به اليك فقلت اخرج واتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فية

ماذا اتيت الى روح معلقة عند التراقى وحاد الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما تجدبها فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تاتي بفاحشة وان عقابك دنيا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته ولو باضعاف ماكنت آتيها
ولا الحياء لبحنا بالذى سكنت بين الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمني امره فقلت للخادم لا ياتيك أحد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحج فبينما انا قد اقضيت من عرفة واذا فتى الى جانبي على نافة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به قال اتعرفنى فقلت ومانكرك بسوء فقال أنا صاحب الكتابين فانكبت عليه فقلت يا أخى لقد غمنى أمرك وأقلقنى شأنك لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة فقال غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له أما اذا أبيت فعرفنى من هي من الجوارى لاكرمها من أجلك ماحييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به انتهى

(وحكى) ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى أعرابيا فقال له ياوجه العرب كيف الحجاج قال ظالم غاشم قال له هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال أظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابى انه الحجاج فقال

الاعرابي ايها الامير السر الذى بيني و بينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف (وذكر) اهل التاريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفى سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطه فقال ياخالد ائتني بمحدث المسجد والناس اذذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الي شاب قائم يصلي فجلس حتي سلم ثم قال اجب الامير قال أبعثك الامير الى قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما تحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروى شيئاً من الشعر قال مامن شاعر الاواروى عنه قال فهل تعرف من انساب العرب ووقائعها قال لا يذهب عني شيء من ذلك فلم يزل يحدثه بكل مااحب حتى اذن لهم بالانصراف قال ياخالد مر للفتي ببرذون وغلام ووصيفة واربعة الاف درهم فقال اصلح الله الامير بقى من حديثي اظرفه واعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال حدثني فقال اصلح الله الامير هلك والدى وانا طفل صغير فنشات فى حجر عمى وله ابنة بسني وكان فى التصابى من الصبا وما كنا فيه اعجوبة حتي اذبلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها و بذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما رايت ذلك خامرني السقم وضنيت و رميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة فملاتها رملا وصخرا وقبرت راسها ودفنها تحت فرشي فلما تم على ذلك ايام بعثت الى عمى فقلت ياعمي انى كنت اريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت ان أموت ولا يعلمه احد فان حدث بي امر فاخرجه واعتق عنى عشر نسمات واحجج عنى عشر حجج وجهز عنى عشر رجال يحيولهم واستحسنهم وتصدق عني بالف دينار ولا تبال ياعم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالى اتى امراته فاخبرها بقولى فما كان اسرع من ان اقبلت بجوار بها حتى دخلت فوضعت يدها على راسي وقالت والله ياابن اخى ماعلمت بسقمك وما حل حتى اخبرني ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفني وتعالجنى بالادوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك تماثلت ثم بعثت الى عمى ان الله عزوجل قد احسن الى وعافانى فابتع لى جارية من خصالها وكمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيته فقال يابن اخي مايمنعك من ابنة عمك فقلت هي من اعز خلق الله تعالى على انى قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل امها وهي الان سمحت ورضيت بذلك فقلت شانك فرجع الى امراته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها فزوجونى اياها فقلت عجل علي بابنة عمى كيف شئت ثم اوريك الخابيه فاهديت الى ولم تدع شيئا يصنع باشراف النسا الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بكل ماوجدت اليه سبيلا واخذ عمى متاعا من التجارة بعشرة الاف درهم وكان ياتينا فى كل صباح من قبل ابويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتاني عمى وقال يابن اخي انا قد اخذنا من التجارة متاعا

بعشرة الاف درهم وليسوا صابرين على خبس الثمن قلت شانك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما فتحها كان فيها ماعلمت فما كان باسرع من ان جاءت امها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا قليلا الا حملته فبقيت مها ناعلى الارض وحفتنا كل الحفاء فهذا حالى اصلح الله الامير فانا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال الحجاج ياخالد مر للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنيه وجاريه وبرذون وغلام وعشرة الاف درهم وقال يافتى اعد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتي من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما بطيء يا بن عمى اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى ابشرى وقرى عينا فانى دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى فلما سمعت الفتاه مقالتي لطمت وجهها فسمع ابوها وامها واخوانها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ماشأنك فقالت لابيها لاوصل الله رحمك ولاجزاك عن ابن اخيك خيرا جفوته وضيعته حتى اصابته الخفه وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم ياابن اخى ماحالك فقلت والله مابي من باس الاانى دخلت على الحجاج وذكر له من امره ماكان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه يسعطه مرة ويسهله اخري فيقول الفتي والله مابي من باس وانما دخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما راى الفتى ان ذكر الحجاج لا زيده الا ابلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ماتقول فى الحجاج قال مارايته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتي مقيدا مغلولا فلما كان بعد ايام ذكره الحجاج فقال ياخالد مافعل بالفتى فقال اصلح الله الامير مارايته منذ خرج من حضيرة الامير قال فابعث اليه احداً قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسى على عم الفتي فقال له مافعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخى لفى شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله قال لاادري ماتقول لابد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال ياابن اخى ان الحجاج قد بعث فى طلبك افاحلك قال لاالا بين يديه فحمله فى قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امرى اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال ياخالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال اجمع وحسن حاله ولم يزل مسامرا للحجاج حتى مات (وحضر) اعرابى عند الحجاج فقدم له الطعام فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابى حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها

وبقى الاعرابى ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادى خيرا ثم اندفع يا كل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة

(وحكى) ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له   مابين مخزومها وهاشمها
تاتى اليه الرقاب صاغرة   ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره   وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجاً الى ضوء ناره   فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه   وقومها بالسيف حتى استقامت
ركابه لا تنفك رجلاه منهما   اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب ورفع امرهم الى الحجاج فاحضرهم فاذا الاول ابن حجام والثانى ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب والله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا   يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هاانا ذا   ليس الفتى من يقول كان ابي

وقيل امر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل ياحجاج ان كنا اساءنا فى الذنب فما احسنت فى العفو والله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فى الكفار فكيف بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم   اذا ثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الحيف والله لو قال هؤلاء مثل ماقال هذا الرجل ماقتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم (قال الراوى) ولما ولى الحجاج العراق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس فى وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب اموالى قالت نعم قد كان ذلك ياحجاج فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ماترون فى امرها فقالوا عجل بقتلها فضحكت المراة فاغتاظ الحجاج وقال ماالضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم في موسى فقالوا ارجه واخاه اي انظره الى وقت اخر وهؤلاء يسالونك تعجيل قتلي فضحك الحجاج وامرلها بعطاء واطلقها (وحكى) ان هند

بنت النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلدا بيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبه فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويله ثم رحل بها الى العراق فاقامت معه ودخل عليها وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الامهرة عربية ... سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فالله درها ... وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتى الف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليها فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا الف هى لك بشارتك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها خطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ فى الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين انى لا اجرى العقد الا بشرط فان قلت الشرط اقول ان يقود الحجاج جملى من المعرة الى بلدك التى انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يامره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعره بلد هند فركبت فى محمل وركب حولها جوار بها وخدمها فترجل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده و يسير بها فاخذت تهزأ عليه و تضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتى اكشفى لى ستار المحمل لاشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكى يا هند يارب ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته

وما نبالى اذا ارواحنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع ... اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت الى بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينارا فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت

الحمدلله سقط منا درهم فعوضنا الله منه دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على الملك بن مروان فتزوج بها (قال) عوف بن أبى شداد العبدى بلغنى ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل في طلبه فلما حضر ومثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقى بن كثير قال بل أمى كانت اعلم باسمى منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخيرتك الها قال فما قولك على افى الجنة ام فى النار قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم للخالق قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لاتضحك قال ايضحك مخلوق خلق من طين والطين تاكله النار قال فما لنا نضحك قال لاتستوا القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتقتدى به من فزع يوم القيامة فصالح اولا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولاخير في شيء جمع الدنيا الاماطاب وذكا ثم دعا الحجاج بالات اللهو فبكي سعيد فقال الحجاج ويلك ياسعيد اختر اى قتلة تريد قال اختر لنفسك ياحجاج فهو الله لاتقتلنى الاقتلك الله مثلها فى الاخرة قال افتريدان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله قبلى واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال ما اضحك قال عجبت من جراءتك وحلم الله عليك فالامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوا قال (وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) قال وجهوه لغير القبلة قال سعد (فاينما تولوا فثم وجه الله) فقال كبوه لوجه فقال سعد (منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) فقال الحجاج ان يجبوه فقال سعيد اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محدا عبده ورسوله اللهم لاتسلطه على احد يقتله بعدى فذبحه على النطع رحمة الله تعالى فكان رأسه بعد قطعه تقول لااله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله تعالى عنه تسعا واربعين سنة والله أعلم

خلافة الوليد بن عبد الله بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبعة عشرة ختمة قال ابراهيم بن عليه كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ماظننت احدا ان يفعله قال الحافظ بن عساكر كان الوليد عند أهل الشام افضل من خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين مايكفيهم وقال لاتسألوا الناس واعطى كل مقعد خادم وكل اعمى قائدا وذكر ان جملة ماانفق علي المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناؤه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة واثارا حسنة

و بعد هذا كله فقدروى ان عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى علقه فسال الله العفو والعافية (خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان (فمما) يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقدعرفناه فما الاذان قال قوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) فقال سليمان ماظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا ارفع خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض ولما سمع كلام ربه الذى خلقه وحوله فى نعمه خشى من لعن الله وطرد من رحمة الله (قيل) انه اطلق من سجن الحجاج ثلمائة الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وزيرا مشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا (قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان ياكل كل يوم نحو مائة رطل شامى، قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير فتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه (وقال ابى سويدى الاسدى قالت دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان متلف قد اثمر واينع على راسه وصائف كل واحدة منهن احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير وكان مطرقا فرفع راسه وقال يا اباز يد فى مثل هذا الحين تصا لحنا فقال اصلح الله الامير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال يا اباز يد ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مفلوقة لناء اشربها من كفها وامسح فمي بخدها فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال يا اباز يد حضرت فى يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لا اضربن عنقك او لتخبرني ما انا وهذه الصفة من لبك قلت نعم ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قدخرج من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يظهر منها بياض سديها وتدوير سرتها ونقش نكتتها وفى رجليها نعلان صراران قداشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بزؤائتين تضربان حقويها ولها صدغين كانها نونان وحاجبان قد تقوسا على محا جرعينها مملوئتان سحرا وانف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلو وعلاج من لا يسمو طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدوا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر

حيلة والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت أيتها الجارية أنسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن عقلك فسترت وجهها بكفها كأنها لم ترني ثم قالت أعذرا يها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاندثم انصرفت فهوالله أصلح الله الامير ما أكلت الاغصصت به وما رايت حسنا الا سمج فى عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها كأنما الذلفاء يا قوتة قد اخرجت من كيس دهقان شراؤها علي يا اخي بالف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد فى دعة الله يا غلام ثقلة ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء بافامر بقسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء موتقه زمراء حدائق بهجة تحتها من انواع الزهر من اصفرار فاقع واحمر ساطع وابيض ناضع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يانس واليه يسكن فامر ان يضرب قسطاطه بالقرب منه فكان الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور واتم حبور الى ان انصرف شيء في الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وماقرا كم قالوا اكل وشرب وسمع قال اما الاكل والشرب امان لكم اما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختار واصواتا واخذ ا اغنيكوه قالوا اغنا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها | من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر مايدرى فضاجعها | اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق | فدمعها الطروق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوا على قدم | وكان من لينها للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت سنان خرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الا رأت ذلك كله فى نفسه او هيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها

الايارب شخص رائع ومشوها | قبيح المحايا واضح الاب والجد
يرعوك منه صوته ولعله | الى امة يعزى معا والى عهده

فقال سليمان دعني من هذا المحال فوالله لقد خطر قلبك منه يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى بستان فخذوه فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير

المؤمنين فلما اتي به قال ياسنان لم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني وانا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان راى أمير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل دقت له الحجر وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى (وقيل) كان سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت لهم مروءة ظاهرة ونعمة وحسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذي كان يتفضل عليهم وكان واساهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امراته وكانت ابنة عمه فقال يا ابنة عمي قد رايت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى ان اموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفذ وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمه الفياض الربعي متولي الجزيره وانما سمي لذلك لاجل كرمه فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمه بن بشر فقال عكرمه الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم بيته قال فما وجد خزيمه بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا لا فامسك عن الكلام ثم لما كل الليل عمد الى اربعة آلاف دينار وجعلها في كيس واخرج سراج من اهله ومعه غلام يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمه فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمه فتناوله الكيس وقال اصلح بهذا شانك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه على يده ثم امسك بلجام الدابه وقال له من انت جعلت فداك قال له عكرمه ياهذا ما جئتك في هذا الوقت والساعه وروايا لاتعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمه بالكيس الى ابنة عمه فقال لها أبشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امراته قد فقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة لا يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة اوسرية فقال اعلمي اني ماخرجت في واحدة منها قالت فخبرني فيم خرجت قال ياهذه ماخرجت في هذا الوقت وانا لا اريد ان يعلم بي احد قالت لابد ان تخبرني قال تكتميه اذا قلت قالت فاني افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله وزدت علية ثم قال اتحبين ان احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت (واما) خزيمه فلما اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبر بمكانه وكان مشهورا بمروءته وكرمه وكان سليمان عارفا به فلما دخل سلم عليه بالخلافه فقال له سليمان بن عبد الملك ياخزيمه

مابطالك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضه الينا قال ضعفي ياامير المؤمنين قال فيما نهضت الينا الان قال لم اعلم ياامير المؤمنين الا اني بعد هدو من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى اخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ماعرفته ياامير المؤمنين لانه كان متنكرا وماسمعت من لفظه الا انا جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لوعرفناه لكافأناه على مروانه ثم قال على بقناة فاتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزية عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما خرج منها قبل عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمه في دار الامارة وامر ان يأخذ لعكرمة كفيلا وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة فطالبه باداتها قال مالي الى شيء من ذلك سبيل قال لابد منها قال ليست عندي فاصنع ما انت صانع فأمر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ماشئت فامران يكبل بالحديد فقام شهرا كذلك او اكثر فاضناه ذلك واضر به وابلغ ابنة عمه خبر فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذات عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقبولي لااقولها الا الامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولي ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك كافأته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجاريه ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادي برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامرلوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمه ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود فلما نظر اليه عكرمه والى الناس احشمه ذلك فنكس راسه فاقبل خزيمة حتى ركب على راسه فقبله فرفع عكرمة اليه راسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك ثم اتي بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك قال اقسم عليك بالله لاتفعل فخرجا جميعا حتي وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الانصراف فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي من ابنة عمك اشد من حيائي منك ثم امر بالحمام فاخلي وادخلاه معا فقام خزيمة وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل عليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستاذنه في اعتذار الي ابنة عمه فاستعذر اليها وتندم من ذلك قال ثم ساله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتي قدما على

سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم بغير امرنا ماهذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ماوراءك ياخزيمة قال الخير ياأمير المؤمنين قال فما الذى اقبلك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان أسرك به لما رايت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال ياعكرمة ماكان خيرك له الاوبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة الاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقدله على الجزيرة وارمينه واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته قال بل اردده الى عمله ياأمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله أعلم

(خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وتفعنا به)

امه ام عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو تابعى جليل قال الامام احمد ابن حنبل لبس احد من التابعين قوله حجة الا عمر ابن عبد العزيز كان رضى الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابداً مؤمنا تقيا صادقا ازال ماكان بنو اميه تذكر به عليا رضى الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولما ولى الخلافة وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا تؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما راه جرير قام اليه وانشد أبياتا منها

ياايها الرجل المرخى عمامته   هذا زمانك فاستاذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئا من امرهم ثم مر بهم عدى بن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لاتنس حاجتنا لقيت مغفرة   قد طال مكثى عن اهلى وعن وطنى

قال فدخل عدى على عمر وقال ياامير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة قال ويحك ياعدى مالى وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح واعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمى فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال او ترى من قوله قال نعم وانشد

رايتك ياخير البرية كلها   نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا   عن الحق لما اصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان امرا مدنسا   واطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عنى النبى محمدا   وكل امرىء يجزى بماكان قدما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه   وقومت ركنا شامخا قد تهدما

فقال ويلك ياعدى من بالباب منهم قال عمر بن ابى ربيعة قال اوليس هو الذى يقول

ثم نبهتها فترت كعابا طفلة ماتبين رجع الكلام
ساعة ثم انها الى قالت ويلتى قدعجلت يابن الكرام

فلو كان عدوالله اذ فجر كتم على نفسه لكان استرله لايدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس هو الذى يقول

هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض بازا كتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا اخى فيرجى ام قتيلى نحاذره

لايدخل على والله ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال ياعدى اوليس هو الذى قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست باكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عبسا بكورا الي بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعو قتيل الصبح حى على الفلاح
وتكنى ساشربها شمولا واسجد عند مبتلج الصباح

والله لايدخل على ابداوهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال او ليس هو الذى يقول الله بينى وبين سيدها يفربها عنى واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل ابن معمر قال اوليس هوالذى يقول

فياليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتى موتها وضريحا

فلو كان عدوالله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد صالحا لكان اصلح والله لايدخل على ابدافهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال اوليس هوالذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الاحقا فانشد يقول قصيدته الرائية المشهورة التى منها

انا لنرجوا اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة مانرجو من المطر
جاء الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر
هذه الارامل قدقضيت حاجتها فمن الحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لايفارقنا بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال ياجرير لا ارى لك فيمن ههنا حقا قال بلى ياأمير المؤمنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك ياجرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله ياغلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب مالا اكتسبه فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال مايسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وقال

رايت رقى الشيطان لاتستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

قال ابو الفرج الاصبهاني فی كتاب الاغانی قال يونس الكاتب خرجت الي الشام فی خلافة هشام بن عبد الملك ومعی جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها ان تساوی مائة الف درهم قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة علی غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معی واخرجت ركوة كان فيها نبيذا فبينما انا كذلك واذا بفتی حسن الوجه والهيئة علی فرس اشقر ومعه خادمان فسلم علي وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذا بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان تشئت غنی صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لاحازه البشر فلذلی فی هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مزارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جويرة حار قلبي فی محاسنها فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الی ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك علينا هذا البلد قال أردت بيع جاريتي هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضی به دينی واصلح به حالی قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الی فضل الله والمزيد فيه قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها قضاء دينی واني صفر اليد قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك فی حالی ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا او احملها معی او تكون معك الی ان احمل ذلك اليك غدا فحملنی السكر والحياء مع الخشية منه علی ان قلت نعم وقد وثقت بك خذها بارك الله لك فيها فقال لاحد غلمانه احملها علي دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعنی وانصرف فما هو الا ان غاب عنی ساعة فعرفت موضع خطئي وغلطی وقلت ماذا صنعت بنفسی اسلم جاريتی الی رجل لم اعرفه ولا ادری من هو وهب اني عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست مفكرا الی ان صليت الصبح ودخل اصحابی دمشق وجلست حائرا لا أدری ماذا اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت بالدخول الی دمشق ثم قلت لمن آمن ان الرسول يأتی فلا يجدنی فاكون قد جنيت علی نفسی جناية ثانية فجلست فی ظل جدار هناك فلما اضحی النهار فاذا احد الغلامين الذين كانا معه قد اقبل علی فما اذكر اني قد سررت بشیء اعظم من سروری ذلك الوقت بالنظر اليه فقال يا سيدی ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بی ثم قال لی اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولی العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الی ان وصلنا الی داره فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علی فقلت ما كان من امرك قالت انزلنی الی هذه الحجرة وامر لی بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا قد اتانی خادم له فقال لی قم فقمت فأدخلنی علی سيده فاذا هو صاحبی بالامس وهو جالس علی سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك

فى ليلتك قلت بخير عزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتى الى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو أهديتها الى الامير كانت أقل وأحس وماقدر هذه الجارية فقال والله لكنى ندمت على أخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد وهمته وسفهت عليه فى استعجالى لاخذ الجاريه افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتنى هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات ياغلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات ياغلام الف دينار فاتي بها ثم قال ياغلام هات خمسمائة دينار أخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضممه اليك وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وماتبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يديه وقلت والله لقد ملات عيني ويدى ثم قال والله انى لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها فعلى بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غنى فانشدت تقول

أيامن حاز كل الحسن طرا ... ويا حلو الشمائل والدلائل
جميع الحسن فى عجم وعرب ... ومافى الكل مثلك ياغزالى
فاعطف يامليح على محب ... بوعدك أو بطيف من خيال
حلالي فيك ذلى وافتضاحى ... وطاب لمقلتى سهر الليالى
وما انا فيك اول مستهام ... فكم قبلى قتلت من الرجال
رضيتك لى من الدنيا نصيبا ... وأنت أعز من روحى ومالى

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبي لها وتعليمى اياها ثم قال ياغلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضي الى فالحق بي فوالله لاملان لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنيتك ما بقيت قال فأخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد اكرامي وكنت معه على اسر حال وأسنى منزله وقد اتسعت احوالى وكثرت اموالى وصلا لي من الضياع والاملاك مايكفيني الى مماتى ويكفى من بعدى ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه (وقيل) انه لما حج هشام فى أيام أبيه وطاف بالبيت وجهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابي طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال والله انا اعرفه فقال الشامى من هذا ياأبا الفراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقي الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله تبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدراً وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحة القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لاتخشى بوادره ... يزينه اثنان خلق الحسن والشيم
حمال اثقال أقوام اذا اقترحوا ... حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ماقال لاقط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والاملاك والعدم
من معشر بهم دين يغضهمو ... كفر وقربهم منجي ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم ... اوقيل من خير اهل الارض قيل هم
لايستطيع جواد بعد وغايتهم ... ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ماأزمت والا ... سد أسد الشرى والباس محتدم
لاينقص العسر بسطا من اكفهم ... سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
مقدم عند ذكر الله فاذكرهم ... فى كل بدء ومختوم به الكلم
يابي لهم ان يحل الذم ساحتهم ... خلق كريم وايد بالندى هضم
اي الخلائق ليست في رقابهم ... لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضى الله عنه باثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعود فيه فقبلها الفرزدق انتهى (ومما يحكى) ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه واحاله الى خباء اعرابى يرعى غنما فقال هشام ياصبي دونك هذا الظبي فاتني به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له ياجاهل بقدر الاخيار قد نظرت الى باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ياصبي ويلك اما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء ادبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك

فقال ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لاقرب دارك ولاحيي مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فاتى به فلما راى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكث راسه للارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهو الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي قد حضرت في يوم دنا فيه اجلك وخاب فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله يا هشام لئن كان في المدة تاخير ما سرني من كلامه لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من أمرك وخذلك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لقيت الخذل ولامك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على براس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما خطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عندك المذل بنفسه المتقلب في رمسه أأضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فاستاذنه ثالثة فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبي أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وأنت تضحك هزأ بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان في المدة تاخير ولم يكن في الاجل تقصير ما ضرني منك قليل ولا كثير لكن ابيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلي لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات وأوجز فهذا أول اوقاتك من الآخرة واخر اوقاتك من الدنيا فانشد يقول

نبئت ان الباز علق مرة * عصفور برساقه المقدور * فتعلق العصفور في اظفاره

والباز منهمك عليه يطير * فاتى لسان الحال يخبر قائلا * ها قد ظفرت واني ماسور

مثلي فما يغني لمثلك جوعة   ولئن أكلت فانني محقور

فتبسم البـاز المذل بنفسة   طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه يمضي الى حال سبيله (ابتداء الدولة العباسية) كان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراساني وكان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله

أدركت بالحزم والكتمان   ماعجزت   عنه ملوك بني مروان   اذ حشدوا

مازلت اسعى بجهد فى دمارهم　　والقوم فى غفلة والناس قد رقدوا
حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا　　من نومة لم ينمها قبلهم احـد
ومن رعى غنما فى ارض مسبعة　　ونام عنهـا تولى رعيها الاسـد

(اولهم ابو عبد الله السفاح) ذكر بن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن خالد بن صفوان انه دخل يوما على ابي العباس السفاح وليس عنده أحد فقال يا امير المؤمنين انى والله مازلت منذ قلدك الله خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى أمير المؤمنين أن يامر بامساك الباب فعل حتى تفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا أمير المؤمنين انى فكرت في امرك واستجلبت الفكر فيك فلم ار احدا له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا أمير المؤمنين على نفسك التلذذ بما يشتهى منهن فان منهن الطويلة التي تشتهى لحسنها والبيضاء التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملات مسامعي ما اشغل خاطرى والله ماسلك مسامعى كلام أحسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقى العباس مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سريه ووفي لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له انى لا انكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بما قاله خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها أينصحني وتشتمينه فخرجت الى مواليها وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت مسرورا من الدار بما ألقيت الى امير المؤمنين ولم اشك فى الصله فبينما انا واقف اذا اقبل موالى ام سلمى يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم ها انا واقف فاستبق الى أحدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقني وضرب كفل البرذون وركضت ففررت منهم واستخفيت فى منزلى أياما ووقع فى قلبي اني منفى من أم سلمى فبينما انا ذات يوم جالس فى المنزل فلم أشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا اجب امير المؤمنين فسبق الى قلبى انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم اردم شيخ اضيع من دمي فركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال ياخالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا فقلت بلى يا امير المؤمنين

وأخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشيب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا مرفى حديثك قلت بلى ياامير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهر منه قال والله ماسمعت منك هذا اولا قلت بلى ياامير المؤمنين واخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبني قلت افتقتلني قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك ريحانة قريش وانت تطمح بعينك الى النساء والجواري فقيل لى من وراء الستر صدقت ياعماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك فقال السفاح مابك قاتلك الله قال خالد فانسلك وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذوناو تخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح في بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له ابو دلامه اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلام يقود الكلاب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء ياامير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد قطعتك عشرة ضياع عامرة وعشرة غامرة من فيافى بنى اسرائيل قال ومامعنى الغامرة ياامير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد اقطعتك ياامير المؤمنين مائة ضيعة من فيافى بنى سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها غامرة قال الحافظ فانظر الى خرفه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدا بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها (وروى) عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بنى العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ولم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثنى باعجب مارايت فى اختفائك فانها كانت ايام تقدير فقال ياامير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزلى انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع فى ذهنى انها خرجت تطلبنى فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا أعرف بها احدا واذا انا بباب كبير فى رحبة منيفة فدخلت فى تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبه فرآنى واقفا مرتابا فقال لى الك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة داره فقال لك هذا وهيالى ماأحتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده ووالله ماسالنى قط من انا ولا ممن اخاف وهو فى اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعويا

متاسفا كانه يطلب شيئا فانه ولم يجده فقلت له يوما أراك في كل يوم تركب وتعود متعو با
متاسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال لى ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد
بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلى اجده واخذ بثارى منه فتعجبت والله يا امير
المؤمنين من هربى وشؤم بختي الذى ساقنى الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره منى
فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن
سبب قتله فعرفني الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك
ان أدلك على قاتل ابيك واقرب اليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم اين هو قلت نعم
فقال اين هو فقلت والله انا لتأخذ بثارك منى فقال لى اظن الاختفاء اضناك فكرهت
الحياة قلت نعم انا والله قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق
رأسه ساعة ثم رفع راسه الى وقال لى اما ابي فسيلقاك غدا يوم القيامة فيحاكمك عند من
لا يخفى عليه خافية واما انت فلست مخفر ذمتى ولا مضيعا نزيلي اخرج عنى فانى لا امن من
نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج منها صرة فيها خمسمائة
دينار وقال له خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو
اكرم رجل رايت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب (وعن) الهيثم بن عدى قال كان ابو
العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة فى مسامرة ابراهيم
بن مخرمة الكردى وناس من بنى الحرس بن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن
ابراهيم التميمي فخاضوا الحديث وتذاكروا فى مصر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين
ان اليمن هم العرب الذين دامت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك
كابرا عن كابر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسات والتبابعه ومنهم من
مدحته الزبر منهم غسيل الملائكه ومنهم من اهتزلموته العرش ومنهم من كلمه الذئب
ومنهم الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شيء له خطر الا واليهم ينسب من فرس واقع
او سيف قاطع اودرع حصينة او حلة مصونه اودرة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا
ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخرهم العرب العرباء وغيرهم
المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان
اذنت لي فى الكلام تكلمت قال اذنت لك فى الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطا يا امير
المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قاله وان القوم ليست لهم
السن فصيحه ولا نزل بها كتاب ولا جاء بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن
قصدنا اكلوا وان جازوا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك
مما سنأتى عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة
والسلام والله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا منا النبي صلى
الله عليه وسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر

والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع مالايخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بناعادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصى واسد الله وسيد الشهداء والجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الي ابراهيم فقال اعالم انت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحجمة قال والسن قال الميذن قال والاذن قال الصنارة والاصابع قال الشناتر قال واللحية قال الذئب قال والذئب قال الكنع قال امؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقولى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال (وماارسلنا من رسول الا بلسان قومه) فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل الم ترى ان الله تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجحجمة بالجحجمة وقال السن بالسن ولم يقل الميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة وقال (يجعلون أصبابعهم فى اذانهم ولم يقل شناترهم وقال (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) ولم يقل بذنبي وقال تعالى (فاكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع ثم قال اسالك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهن قال الرسول منا اومنكم قال منكم قال فالقران نزل علينا اوعليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا اولكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهو لكم

(خلافة أبى جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد حفظها او احد انشاها أى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك جائزة وان لم يكن احد يحفظها نعطيك زنة ماهي مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولوكانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى وينشدها كلها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجاريه التى خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغيرشيء (قال الراوى) وكان الاصمعى من جلسائه وندمائه فنظم ابيا تاصعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفه وقال اني امتدحت اميرالمؤمنين بقصيدة فقال ياأخى العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ماهى مكتوبة عليه فانشد الاصمعى هذه القصيدة يقول

صوت صفير البلبل هيج قلبي الثمل
الماء والزهر معا مع زهر لحظ المقل
وانت ياسيدى لي وسيدى ومولى لى

وكم وكم تيمني غزيل عقيقل قطفت من وجنته
الشم ورد الخجل وقلت بس بسبسني فلم يجد بالقبل
وقال لا لا لـلا وقد غدا مهرولى والخود مالت طربا
من فعل هذا الرجل وولت ولوة ولى ولى ياويللى
فقلت لاتولولى وبينى اللؤلؤ لما رأته أشمطا
يريد غير القبل وبعده مايكتفى الا بطيب الوصل لى
قالت له حين كذا انهض وجد بالنقلى وفتية سقونى
قهيوة كالعسللى شميمها فى انففى ازكى من القرنفل
فى وسط بستان حلي بالزهر والسرورلي والعود دندن دللى
والطبل طبطبلى والرقص قد طبطبلى والسقف سقسقلي
شوواوشواواوشاهشو على ورق سفرجلى وغرد القمرى يصيح
من مال فى مللى فلو ترانى راكبا على حمار اهزلى
يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلي والناس ترجمجملى
فى السوق بالقلقلى والكل كمكم كمكم خلفي ومن حوللى
لكن مشيت هاربا من خشيه العقيقلى الى لقـاء ملك
معظم مبجل يامر لى بخلعة حمراء كالدم دملى
أجرفيها ماشيا مبغددا للذيل انا الاديب الالمعى
من حى ارض الموصلي نظمت قطعا زخرفت تعجز الاديللى
اقـول من مطلعها صوت صفير البلبلى

(قال الراوى) فلم يحفظها الملك لصعوبتها و نظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخي العراب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطيك زنته قال يامولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهداى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيها فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفذ ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعي فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعي فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته قال ياامير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية فاذا عطيتهم ماتيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك والله اعلم وذكر الغزالى وابن بلبان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض ومايحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملا سمعه ثم رجع الي دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فاتنى به فخرج

صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليماني فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال انا الذي سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني فقال يا أمير المؤمنين ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلات بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء ببابي وملك الارض في قبضتي فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل احدا من الطمع ما داخلك استرعاك الله امور المؤمنين وأموالهم فاهملت أمورهم وأهممت بجمع أموالهم واتخذت بينك و بين رعيتك حجابا من الجبس والاجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم بجمع الاموال وتقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس الا ما ارادوا فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك اوقفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك غال صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت تري ذلك ولا تنكر لقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة ازيلت في الحال ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكي فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري يذهب نادوا في الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرف النهار ويدور في البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا احمر يعلم انه مظلوم فينصفه هذا الامير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وانك مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحد ثلاث فان قلت انما اجمع الاموال لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما ارادوا وان قلت انما اجمع للولد فقد اراد الله عبرة فيمن تقدم من جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ويماتات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون لم يدخلوا علي فقال يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال بما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة

فخرج يطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال اجب أمير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبك من سبيل ثم اخرج من موزر كان معه ورقا مكتوبا فقال خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك اوتحسن السحر قال لا والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه قصته فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون العظماء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمك بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاذ كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وامسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزي عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي اطمعني ان اسالك مالا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسالك مستانسا فانك انت المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك علي انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (وحدث) عبد الله البلتاجي قال دخل ابن ابي ليلى على ابي جعفر المنصور وكان ابن ابي ليلة قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضي يرد عليه من ظرائف الناس ونوادرهم امور فان ورد عليك شيء فحدثنيه فقد طال علي يومي والله يا امير المؤمنين قد ورد علي منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتني عجوز تكاد ان تنال الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقلت انا بالله وبالقاضي ان يأخذ لي بحقي وان يعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت بها فجاءت امراة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضي مرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشيء فلترد علي فان اذنت لي اسفر بفقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ماظننت ان يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت اخي هل لك في التزوج قلت ما اكره ذلك يا عمتي قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا يرفيا فتزوجني فكنا كانا ريحانتان ما نظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا لذلك وكانت لها ابنة فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمتي هل لك ان تزوجيني ابنتك فقالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط فقالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ابتة وزوجت بنتها زوجي فكان يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالي

لاارى ربيتنا قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان تعزيها بمصيبتها فلما بلغني مجيئه الى تهيئات له وتشوقك فلما دخل على عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدى قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ابتة قال فقدم على بمتاله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فاقام عندى ما اقام ثم انه اعتل وتوفى فلما انقضت عدتى جاء زوجى الاول الصيرفى يعزيني بمصيبتى فلما بلغنى مجيئه تهيات له وتشوقت له فلما دخل على قال لى يافلانة انك تعلمين انك كنت أعز الناس على واحبهم الى وقد حلت المراجعة فهل لك فى ذلك قلت له لا اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتى بيدي قال فاني قد فعلت قلت فانى قد طلقتها ثلاثا بتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجى فما اعتدائى عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وأنت فعلت مرة بعد اخرى فقلت ان الله لم يوقت فى هذا وقتا وقد قال (ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) فواحدة بواحدة والبادى اظلم فقال القاضي ان زوج العمة لم يكن له ان يتزوج ابنة اخيها وهى فى عدته فارادت العجوز ان تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها فقال لها قد فرقت بينكما قومى الى منزلك انتهى (وخطب) المنصور يوما بالشام فقال أيها الناس ينبغى لكم ان تحمدوا الله تعالى على ماوهبكم الله فى فاني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يجيئكم فقال اعرابى ان الله اكرم من ان يجمعك انت والطاعون علينا

(خلافة المهدى)

اسمه محمد بن المنصور حدثنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن عدى باى شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله المهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة الى المهدي وقال له استأذن لى على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رأيت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرني له فقال ياهذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لا نفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا فقال ان لم تخبره بمكاني سالت من يوصلني اليه واخبره اني سالتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه رأى لامير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنا وقد احب ان يقصها فقال المهدي يا ربيع انى والله ارى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت مثل هذا فلم يقبل قال الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق

فقال له ما رايت بارك الله فيك قال رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال اخبر أمير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك انه يرى في ليلته الاتية في منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوته كانها قد وهبت له فقال المهدى ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت اعطيناك فوق ما تريدوان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال يا أمير المؤمنين فما اصنع انا الساعة اذا سرت الى منزلي وعيالي واخبرتهم اني كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدى فكيف نعمل فقال يعجل لي يا أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وأحلف له بالطلاق اني قد صدقت فامر له بعشرة آلاف درهم وامر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له من يكفلك فمد عينه الى خادم حسن الوجه والزي وقال له هذا يكفلني فقال له المهدى انكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا أمير المؤمنين فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليله رأى المهدي ما ذكر له سعيد وأصبح سعيد فوافى الباب واستاذن فاذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال له اين مصداق ما قلت لنا عليه فقال له وما راى امير المومنين فتلكم في جوابه فقال له امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيئا قال له المهدى ما أجراك على هذا الحلف بالطلاق فقال لاني احلف على صدق قال المهدى فقد والله رايت ذلك مبينا فقال سعيد الله اكبر فانجزلي يا امير المومنين ما وعدتني قال حبا وكرامه ثم امر له بثلاث آلاف دينار وعشر تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من انفس دوابه محلات فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذى كان كفله وقال سالتك بالله هل لهذه الرؤيه من اصل فقال لا والله فقال الخادم وكيف وقد رأى امير المومنين ما ذكرته قال هذا من المخاريف التي لا أب لها وذلك اني لما لقيت هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه وأسر به قلبه واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل لها ما حل في قلبه واشتغل به فكره فقام فرآه فقال الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقت واحدة وبقيت معي على اثنين فازيد في مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من اصناف الثياب فتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صدقتك وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات (وحكي) ان المهدى خرج يتصيد فسار به سيره حتى دخل الى خباء اعرابي فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال أيا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المومنين الخاصة قال بارك الله في موضعك وناوله قعبا آخر ثم سقاه فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك

من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ قال يا اعرابي اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابي الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشي عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكراً ناهداً ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ست عشرة سنة فتلاعب عليها ابو نواس لينال منها اربه فتمنعت مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق انه خرج من القصر ليلة فوجدها نائمة سكرى فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها دم فلم يجزو قام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مرقرقة الخدين لينة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وما حب الكواعب من امري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءنى ... وقد زلقت رجلى ورحت الى صدرى
ولولا صياحى بالغلام وانه ... تداركنى بالحبل رحت الى القمر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية أجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرأيت مجنونا فيه فلم ار قط اظرف منه ويده على صدره فلما دنوت منه انشا يقول

الله يعلم اننى كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى الصبابة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى لشىء يرمينى به فبعدت عنه فقال لى انشاتك ما احبه واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له احطات فقال اذن اعترفت بخطاك ثم قال انشدك شعرا غيره قلت نعم فانشا يقول

ما أقتل البين للمحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد ... اسرع في مهجتى وفي كبدى
ياحسرتى اذا بت معتقلا ... بين اختلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان فتشونى فمحرق الكبدى او كشفونى فناحل الجسد
اضعف مابى وزادنى الما ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يافتي اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب اوخل اريب ثم قال احسبك ابا العباس المبرد بالله ماهوانت قلت انا فمن اين عرفتني فقال وهل يخفي القمر انشد من شعر لك ماتنتعش به روحي فانشدته

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ومن بكائي بكت اعداداذا رحلوا
يامنزلى الحى اين الحي قد نزلوا تفسي تساق اذا ماسيقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعدهم والدار جامعة والشمل ملتم والحبل متصل
فطال ماقد نعمنا والحبيب بها والدهر يسعدوالواشون قدغفلوا
قد غير الدهر ماقد كنت اعرفه والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذى قد كنت آمله والبين اعظم مايبلي به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق والدمع منسكب والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم صب به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ونوروها وسارت بالهوى الابل
وقبلت من خلال السجف ناظرها ترنو الى ودمع العين منهمل
ياحادى العيس عرج بي اودعهم ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى وحقك لا انسى مودتهم ياليت شعرى لطول العهد مافعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعرى قال لى مافعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه

(خلافة موسى الهادى بن محمد)

لم ارفيه شيئا ومن راى فيه شيئا فليضعه (قال) بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من راى شيئا فليضعه فرايت هذا النذر اليسير مذكوراً فى تاريخ الاسحاقى فاحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب الكردان ان الهادي كان يوما في بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه واهل بيته فدخل عليه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقدظفر به بعض القواد فامر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما ابصر الخارجي الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف احدهما وقصد الهادى ففركل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتي اذا دنامنه الخارجي وهم ان يعلوه بالسيف اومالى وراء الخارجي واوهمه ان غلاما وراءه وقال ياغلام اضرب عنقه فظن الخارجي ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادي مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجي وذبحه

بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملؤا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل (حكي) عبد الحق انه قال مما ابتلى به المهدى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادر وكانت من أحسن النساء وجها واطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة و تغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبي اني أموت وان اخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادر فامضوا وأتوني براسه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكي له ماخطر بباله فجعل هرون يترفق به فقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما احلفك به اني اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافه هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف اصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت من قلبه موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه لى الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي فى بعض الليا وهى فى حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبه فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت اخاك الهادي الساعة فى النوم فانشدني هذه الابيات

اخلفت عهدى بعدما جاوزت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادر اخي صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكان الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة قال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله ياامير المومنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسال عن هرون الرشيد وما لقي بعدها اه

(خلافة هرون الرشيد بن محمد المهدى) هو اخو موسى الهادى الخامس من بنى العباس (قال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الخلافة عندما ولى الرشيد بعد أخيه موسى الهادى

الم تران الشمس كانت مريضة فلما اتي هرون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه فهرن واليها ويحيي وزيرها

(وقدم) اعرابى حين ولى هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة قال ات بها قال اتانى آت فى منامي فقال ات امير المومنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش تزف اليكما ابدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى تميس ومالها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه وقد بويع له بالخلافة فى الليله التى توفى فيها اخوه وولد فى تلك الليله المامون وكانت ليلة عظمية لم يرمثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولى فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي وزارته وسيأتي ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك (ويحكى) ان هرون الرشيد مر في بعض الايام وبصحبته جعفر البرمكى واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشراب واذا احداهن تقول قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت المنام كى استريح وتنطفى

نار تاجج فى العظام دنف تقلبه الاكف على بساط من سقام

اما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يابنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولى قال ان كان كلامك صحيحا فامسكى المعنى وغيرى القافيه فانشدت

تقول قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الوسن

كى استريح وتنطفى نار تاجج فى البدن دنف تقلبه الاكف

على بساط من شجن اما انا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والاخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك ايضا فامسكى المعنى وغيرى القافيه فقالت قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الرقاد

كى استريح وتنطفى نار تاجج فى الفؤاد دنف تقلبه الاكف

على بساط من حداد اما انا فكما علمت فهل لوصلك من سداد

فقال لها والاخر مسروق فقالت بل كلامى فقال ان كان كلامك فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت قولى لطيفك ينثنى عن مضجعي وقت الهجوع كى استريح

وتنطفى نار تاجج فى الضلوع دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع

اما انا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال امير المومنين انت من اى هذا الحى قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المومنين انها بنت كبير الحى ثم قالت وانت من اى راعى الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المومنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفه لابد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المومنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية لامير المومنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها مايستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبه نهضت ودخلت الي حجرتها وقلعت كل ماعليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ماسبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسالها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك ياامير المومنين

قال وكيف ذلك قالت منذ انا عندك مارايتك هكذا ولم يكن لى من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك ايا أمير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهى حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين (.ويحكي) ان امير المؤمنين هرون الرشيدى ارق ذات ليلة فقام يتمشى فى قصره بين المقاصير فراى جارية من جواريه نائمة فاعجبته فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت ياامين الله ماهذا الخبر فاجابها يقول

قلت ضيف طارق في ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر

فاجابته تقول بسرور وهنا ءسيدى ... اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الي الصباح فسال امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له ابو النواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على ياامين الله ماهذا الخبر فانشد يقول

طال ليلي حين وافانى السهر ... فتفكرت فاحسنت الفكر

قمت امشى فى الحال ساعة ... ثم اجرى فى مقاصير الحجر

فاذا وجه جميل مشرق ... زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجل منها موطئا ... فدنت مني ومدت الي البصر

واشارت لى بقولى مفصح ... ياامين الله ماهذا الخبر

قلت ضيف طارق فى ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر

فاجابت بسرور سيدى ... اخدم الضيف بسمعى والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكي) ان هرون الرشيد هجر جارية ثم لقيها في بعض الليالى فى القصر سكرى تدور فى جانب القصر عليها مظروف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح ابان نهديها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت ياامير المؤمنين هجرتنى هذه المدة وليس لى علم بالغاتك فانظرني الى غد حتى اتهيا وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم يجى فقام ودخل عليها وسالها انجاز الوعد فقالت ياامير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى الشعراء فدخل ابو نواس والرقاشى وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل فى ذلك ثلاثة ابيات اتسلوها وقلبك مستطار ... وقد منع الفرار فلا قرار ... وقد تركتك صبا مستهاما

فتاة لا تزور ولا تزار ... وانثنت تيها وقالت كلام لليل يمحوه النهار

وقال ابو معصب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشد

اما والله لو تجدين وجدى ... لما سمعت فى بغداد دار

أما يكفيك ان العين عبرى ... ومن ذكراك فى الاحشاء نار

تبسمت الفتات من غير ضحك ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وانا قائل فى ذلك اربعة ابيات وانشد يقول

وخود اقبلت فى القصر سكري ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح أردافا ثقالا وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا اومطلعا علينا وامر لكل واحد بحلة سنية وخمسة آلاف درهم ولابي نواس بعشرة آلاف درهم (وذكر) الخطيب فى بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما راته تجللت بشعرها حتى لم يرمن جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا له ابو نواس وبشار فقال ليحضروا فقال ليقل كل منكما ابياتا توافق مافى نفسي فانشأ بشار يقول

تحببتكم والقلب صار اليكمو بنفسى ذاك المنزل المتحبب
اذا ذكروا الهجران لاعن ملامة وذكراهم ينتمى الى محب
قالوا تحبينا ولا قرب بيننا فكيف وانتم حاجتى تتجنبوا
على انهم احلى من الشهد عندنا واعذب من ماء الحياة واطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت مافي نفسي فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت على عجل لتاخذ للرداء

رات شخص الرقيب على التداني * فاسبلت الظلام على الضياء * وغاب الصبح منها تحت ليل فظل الماء يجرى تحت ماء * فسبحان الا له وقد براها * كاحسن ماتكون من النساء فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا أمير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه (ويحكي) ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فراشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على بالاصمعى فخرج الطواشي الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفه به واجلسه ورحب به وقال يا اصمعى اريد منك ان تحدثني باجود ماسمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين اني توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم أجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة وعليها شباك

مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت بالساباط وجلست على الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهى تقول يااختى انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلاثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى وما زارني في النوم الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا الكلام مجال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهى تقول اجلس ياشيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الى ورقة فنظرت خطا فى نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاءات مدور الواوات مضمونه نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم فى ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواه وقرطاس فاحضرتهما فانشدت اقول

احدث عن اخوة تحدثن مرة حديث امرىء ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصحارى جحافل حلان بقلب للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة من الراقدين المشتهين التغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عزيزة وتبسم عن عذب المقالة انسبنا

عجبت له ان زار فى النوم مضجعى ولو زارنى مستيقظا كان اعجبا

فلما انقضى مازخرفت وتضاحكت تنفست الوسطى وقالت تطربا

وما زارنى فى النوم الاخياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

واحسنت الصغرى وقالت مجيبة بلفظ لها قد كان اشهى واعذبا

بنفسى واهلى من أرى كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فلما تدبرت الذى كان وانبرى لى الحكم لم اترك لذى اللب معتبا

حكمت لصغراهن فى الشعر اننى رأيت الذى قالت جميلا واصوبا

قال الاصمعي ثم رفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت مابقى لى اقامة فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادى وتقول اجلس ياأصمعى فقلت ومن اعلمك انى الاصمعي فقالت ياشيخ ان خفى علينا اسمك فما خفى علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجارية تناد وتقول اجلس يا اصمعي

فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر فى كف اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام
ورمت لى بصره فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا اصارلى وهو منى لك هبة فى نظير حكومتك
فقال لى امير المؤمنين لاى شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى.
فقلت له يا امير المؤمنين ان بيت الكبرى قالت

عجبت له ان زار فى النوم مضجعى وهو محمول معلق على شرط

قد يقع ولا يقع واما الوسطى فمر بها طيف خيال فى النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى
ذكرت انها ضاجعته مضاجعة حقيقة وشمت منه انفاسا اطيب المسك وفدته بنفسها واهلها
ولا يفدي بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخليفة احسنت يا اصمعى ثم دفع
الى ثلاثمائة دينار فاخذتها وانصرفت فكنت اقول لله درك من شعر اخذت فى حكومتى
منه ثلاثمائة دينار وفى حكايته مثلها الله واعلم (ومما حكي) عن الاصمعى فى نوادره
قال سهرت ليلة عند الرشيد فى الرقة فقال لى من معك يا عبد الله يؤنسك فقلت يا أمير
المؤمنين مالى انيس غير الوحدة فامسك واقبل فى حديث ماشاء الله ثم نهض ونهض
من بحضرتى فلما صرت الى منزلى واذا بخادم الامير يقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع
وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رآنى الخادم دنا منى وقبل يدى وقال لى يقول لك
امير المؤمنين قدامر تالك بمن يؤنسك وهو جارية من خواصه وشيء من المال فشكرت
امير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية ومعها من الالات والخدم والجوارى
والفرش مالم ارمثله الا عند امير المؤمنين ثم ودعنى الخادم وانصرف فلما انظر الى الجاريه
رايتها احسن الناس وجها وأجملهم قداوشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فدخلني لها هيبة
وانقباض فقالت ماهذا الحياء البارد السمج الذى لاوجه له اين ملحك ونوادرك ثم
قالت لجارية من الجوارى هات ماعندك فجاءت باحسن مايكون من الطعام فأكلنا وهي
مع ذلك تباسطنى وتؤانسنى بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتنى
ثم قالت مابقى بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ماارادت
والبستنى ثيابا فاخره مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضجعت الى جانبي فلما جمعنا
الفراش اصابنى من الحصر وانقطاع الانعاظ والرخاوة مالم اكن اعهده قبل ذلك فجعلت
تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكماشا وموتا فلما اعيتها الحيلة فيه ويئست من
قيامه ومضى من الليل اكثره قالت عظم الله اجرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد
ودعت بقسط فاخرجت منه مناديل صغارا وحنوطا وقالت ثم على ظهرك يا بطال فاستولى
على الخجل حتى اني لم اقدر أخالفها في شيء مما تأمرني به فى جميع ماتفعله فى فغسلته
وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن فى بكاء ونحيب
ونوح وندب وصراخ باشدما يكون ومازلن على ذلك الى وقت السحر ثم قالت مابقى الا
مايتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وانا اخزى خلق الله حالا ولبست

ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتي الى الرشيد فانكر الحاجب حضوري فى ذلك الوقت واعلم الرشيد بى فاذن لى فدخلت وهو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك مادهاك فى هذا الوقت فقلت يا أمير المؤمنين خبرى عجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المومنين الامارحمتنى من هذه الجارية التى اقدمتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى امير المومنين وما السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من اولها الى اخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حل معها فى منزلى وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من نظائرها وسميت من وقتها الاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم أجمعين (ويروى) انه لما دخل هرون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف سبقه اعرابى فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا فقال الحاجب للاعرابى تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المومنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوي بين الامام والرعيه فى هذا المقام فقال عز وجل (سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه امره فامر صاحبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابى فاستلمه ثم اتي الرشيد الي المقام للمصلى فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتنى بهذا الاعرابى فاتاه الحاجب فقال اجب امير المومنين فقال مالى اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الى السعى فقام الرشيد حتي وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابى ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمى وكلنا فيه سواء فان شئت فاجلس وان شئت تنصرف (قال الراوى) فعظم ذلك على الرشيد وسمع مالم يكن فى ذهنه وما ظن انه يواجهه احد هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا اعرابى اريد اسؤالك عن فرضك فان انت قمت به فانت بغيره اقوم وان انت عجزت عنه فانت عن غيره اعجز قال الاعرابى سوالك هذا سوال تعلم ام سوال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه قال بل سؤال تعلم فقال الاعرابي قم فاجلس مقام السائل من المسوول قال فقام الرشيد وجثي على ركبتيه بين يدى الاعرابى فقال قد جلست فاسالك عما بدالك فقال له اخبرنى عما افترض الله عليك فقال له تسالنى عن اى فرض عن فرض واحد ام عن سبعة عشر ام عن اربعة وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة فى طول العمر ام عن واحدة من اربعين ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك فاتيتني بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم

القيامه قال(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) قال فظهر الغضب فى وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال ياهرون ولم يقل له يا أمير المومنين وبلغ مبلغا شديدا غير ان الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم انه هو الذى انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد يا اعرابى ان فسرت ماقلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا امير المومنين عف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف قال فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا منكما اذ لا ادرى ايكما اجهل الذى يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم يحضر قال فهال الرشيد ماسمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابى اما سوالك عما افترض الله على فقد افترض على فرائض كثيرة فاما قولى لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام واما قولى لك عن خمسة فهي الصلوات واما قولى لك عن سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولى لك عن اربعة وثلاثين فهى السجدات واما قولى لك عن خمسة وثمانين فهى التكبيرات واما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى حجة الاسلام واحدة فى طول العمر كله واما قولى لك عن واحدة من اربعين فهى زكاة الشاه شاة من اربعين واما قولى لك خمس من مائتين فهى زكاة الورق قال فامتلا الرشيد فرحا وسرورا من تفسيره هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابى وعظم الاعرابى فى عينيه وتبدل بغضه محبة ثم قال الاعرابي سالتني فاجبتك وانا اريد ان اسالك فاجبنى قال قل فقال الاعرابي ما تقول فى رجل نظر الي امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتني فى بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت خليفه ليس فوقك شيء ولا ينبغى ان تعجز عن مسئلة فكيف عجزت عن مسئلتي وانا رجل بدوى لا قدرة لى فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهى اكراما لي ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامه ولكن علي شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدرى بالحقير فقال حبا وكرامه ثم قال اما قولى لك عن رجل نظر الى امراة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح

به واشتد اعجابه به ثم امرله بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لي بها ردها الى اصحابها فقال اني اريد ان اجري لك جرايه تكفيك مدة حياتك قال الذي اجرى عليك يجري علي قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل منك شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تؤاتينا سنينا * فتكدر ساعة وتلذ حينا * فما ابغي لشئ ليس يبغى واتركه غدا للوارثينا * كاني بالتراب علي يحثى * وبالاخوان حولي نادبينا ويوم يزفر النيران فيه * وتقسم جهرة للسامعينا * وعزة خالقي وجلال ربي لينقمن منهم اجمعينا * وقد شاب الصغير بغير ذنب * فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تاوه الرشيد وساله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى الرضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين علي بن بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان يتزيا بزي اعرابي زاهد في الدنيا وتباعد عنها فقام الرشيد وقبل مابين عينيه ثم قرأ (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وانصرف رحمة الله عليهم اجمعين

(وقال) السجستاني ارق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وقال عللاني وابدأ أنت ياحسين فقال حسين نعم ياامير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي فقبلها وامرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستقي واذا انا بجارية كانها قضيب ينثني واسعة العينين ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناري ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلالا من تحت القميص ثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقراطيس ولها جمة جعدت بالمسك محشوة وهي ياامير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر يزهو بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبع وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان وانف اقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز رائحة تخطر على اكباد محبيها في مشيتها وقد خالط أصوات نعلها خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها : كل جزء من محاسنها * كائن من حسنها مثلا فهبتها ياامير المؤمنين ثم دنوت لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها ياسيدتي اني شيخ غريب اصابني عطش افتامرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاي علة ياسيدتي قالت لاني عاشقة من لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت ياسيدتي وعلى بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ماركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت ومافوقك في هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت ياسيدتي هل اجتمعتما في وقت من الاوقات ووجب حديث في هذا القرب فتنفست الصعداء وأرخت دموعها ثم أنشأت تقول

وكنا كغصني بان فى كل روضة نشم جنى اللذات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فما من رأي فرداً يحن الى فرد

قلت ياهذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب انها هو وربما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم من جسدى وابقي الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذريني فانت على ما بالك من الصبا وشغال البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى ار ما بك من تغيير اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمكث الهوى لكنت مفتتنة فى أرض البصرة قالت والله قيل محبتى هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتنني هذا الغلام قلت ياهذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شان من الشون وذلك اني كنت قعدت فى نيروز ودعوت عدة من مستظرفات البصره من النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكان بى ولعه فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزن القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني والاعبها فتارة انا فوقها وهي فوقي فحملها السكر الى ان ضربت يدها الى تكتى فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك وصدف عنى صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين اسا ل جمعيته فلا ينظر الى بطرف ولا يكتب لى بحرف ولا يكلم لى رسولا ولا يسمع مني قليلا فقلت لها ياهذه من العرب هوام من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصره فقلت لها شيخ هوام شاب فنظرت الى شزرا وقالت انك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد له طرة كحلك الغراب لا يعيبه شيء غير انحرافه عني قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد في لقاءه فاتعرف الفضل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابي السخاء وقصره بالمريد ثم صاحت فى الديار ياجوارى الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة سيدى ترك الدعاء فى صدر قمتى ينبي عن تقصيرى ودعائى ان دعوته هجنة ورعونة ولولا بلوغ المجهود يحرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لعلمها تركك الجواب سيدى جد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحي بها تفساحيته واحطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعه واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى انت ذاكرها لها سيدي الست لك محبة مدنفة فان رجعت الى الايسة كنت لك شاكرة واعد خادمه والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فاصبحت غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورايت غلاما زان المجلس وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير

فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيره فقلت فى نفسي بالحقيقه حل بالمسكنه
ماحل بها ثم قمت وقصدت المريدو وقفت على باب داره فاذا هو قدورد فى موكب فوثبت
اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته الرقعه فلما قرأها وفهم معناها قال ياشيخ قد استبد لنابها
فهل لك ان تعود الى الديار قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد افاذا انا بجاريه خالوطية
السكين ناهدة التديين تمشى مشية مستوحل من غير وحل فناولها الرقعه وقال اجيبي
عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت ياشيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت ياامير
المؤمنين وانا اجرر جلى حتى اتيتها واستاذنت عليها فقالت ماوراءك فقلت البؤس
والياس فقالت ماعليك منه فاين الله والقدر ثم امرت لى بخمسمائة دينار ثم جزت
بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا اصحاب ضمرة يسالونها الرجوع
اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فاوردت على رقعه فاذا فيها بعد التسمية
سيدتي لولا ابقائى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت شطر
غبني عليك وسلكت ظلامتي فيك اذا كنت الجانية على نفسك ونفسي والمظهرة السوء
العهد وقلة الوفاء والمؤثره علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان على ما كان من
سوء اختيارك والسلام واوقفتنى على ماحمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة فاذا
هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رايتها وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا ان ضمرة
سبقنى اليها لكان لهامعى شان من الشؤن انتهى (وحكى) مسرور الخادم قال أرق
الرشيد أرقا شديدا ليله من الليالى فقال يامسرور من على الباب من الشعراء فخرجت
الى الدهليز فوجدت جميل بن العمرى العزرى فقلت اجب امير المؤمنين فقال سمعا
وطاعة فدخلت ودخل معي الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافه
فرد عليه وامره بالجلوس فقال له الرشيد ياجميل اعندك شىء من العجيبة قال نعم ياامير
المؤمنين ايما احب اليك ماعاينته ورايته اوسمعته ووعيته فقال بل حدثني عما عاينته ورايته
فقال نعم ياامير المؤمنين اقبل على بكلك واصغ الي باذنك قال فقصد الرشيد الى مخده
من الديباج الاحمر المزركشة بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها
مرفقيه وقال هلم بحديثك فقلت اعلم ياامير المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت
آلفها اذهى سؤلى وبغيتى من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها
ثم ان الشوق اقلقنى وجذبنى اليها فراودتنى نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليله من
الليالى هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلى على ناقتى واعتممت بعمتي ولبست
اطمارى وتقلدت بسيفى وتنكبت حجفى وركبت ناقتى وخرجت طالبا لها وكنت
اجد في السير فسرت ذات ليله مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاوديه وصعود
الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي
وطاش لبي ولسانى لايفترعن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني النوم فاخذت

بي الناقه على غير الطريق التي كنت فيها وزاد على النوم واذا انا بشيء لطمني على راسى فاستنبهت فزعا مرعوبا واذا باشجار وانهار وماء واطيار على تلك الاغصان تترنم بلغاتها والحانها واشجار تلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها بيدى ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادرى الى اين اذهب ولا الى اين ما تسوقني الاقدار فمددت نظرى فى تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وسرت طالبا الى ان وصلت الى تلك النار فتقربت منها وتأملت وذا بخباء مضرب ورمح مركز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فانى لا أرى فى هذه البرية سواه ثم تقدمت خلف الخباء فقلت السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر كانه البدر اذا أشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب انى اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا أخا العرب ان ارضنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحدة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندى على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق فنزلت عن ناقتي وعلقتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من اطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا طيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمني ويتنهد تاره ويبكى تاره اخرى ثم شهق شهقة عظيمه وبكى بكاء شديدا وأنشد يقول

لم يبق الا نفس خافت . ومقلة انس باهت. لم يبق فى اعضائه مفصل
الا وفيه سقم ثابت . فدمعه جار وأحشاؤه. توقد الا انه ساكت
تبكي له اعداؤه رحمة. يا ويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسي انا فى منزل الرجل واتهجم عليه فى السؤال فرددت نفسى وأكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغت من الاكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير اطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوء من ماء الورد والمسك فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسي ما أغرب الظرف فى الباديه ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعه ثم انه قام ودخل الخباء وقطع بيني وبينه بمقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب وفى سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب ونمت ليلة لم انم عمرى مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر فى أمر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت العيون

فلم اشعر الا بحس خفى لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشيه فرفعت سحاب المضرب
ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى
والصبابه والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاقى فقلت يالله العجب من هذا الشخص الثانى
وهذا بيت فرد لم أر فيه غير الفتى وليس حوله احد ثم قلت فى نفسى لاشك ان هذه
الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها فى هذا المكان وتفردت به فحققتها
فاذا هي انسية عربية اذا رمت تخجل الشمس المضيئة وقد اضاءت الخباء من نور وجهها فلما
تحققت انها محبوبته غلبتنى الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهى ونمت فلما
أصبحت لبست ثيابى وتوضأت لصلاتى وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له يا اخا
العرب هل لك ان ترشدنى الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الى وقال على رسلك ياوجه
العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذى يدعك الا بعد الثلاثة ايام قال فلما كان اليوم
الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته على اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بنى عذرة
وانا فلان بن فلان وعمى فلان فاذا هو ابن عمى يا أمير المؤمنين وهو من اشرف بيت فى بنى
عذرة قال فقلت يا ابن العم ما الذى حملك على ذلك من الانفراد فى هذه البرية وكيف تركت
عبيدك واماءك وانفردت بنفسك فى هذا المكان فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامي تغرغرت
عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انى كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها
لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها وزوجها الى رجل من
بنى عذرة ودخل بها واخذها الى المحلة التى هو فيها من العام الاول فلما بعدت عنى وحجبت
عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركى اهلي ومفارقتى
عشيرتى وخلانى وجميع امتعتى وانفردت فى هذا البيت فى هذه البرية والفت وحدتي فقلت
واين بيوتهم قال هى قريبة فى ذروة هذا الجبل وفى كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل
تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها احد فاقضى منها بالحديث الوطر وتقضى هى
كذلك وها انا مقيم كذلك على هذا الحال اتسلى بها ساعه من الليل (ليقضى الله أمرا
كان مفعولا) او يأتيني الامر على رغم الحاسدين (او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين) قال
جميل فلما حدثني الغلام يا أمير المؤمنين غمنى امره وصرت من ذلك فى حيرة لما اصابنى
عليه من الغيرة له فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك وفيها
ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذى نخشاه فقال لى
قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاردفها على ناقتى فانها سريعه الرواح
واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق واسير بكم الليلة جميعا فلما يصبح الصباح
الا وقطعت بكم برارى وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض
الله واسعه وفضاؤها وانا والله مساعدك ماحييت بروحى ومالى وسيفى فلما سمع ذلك قال
يا ابن العم حتي اشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل

وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطات عن عادتها فرايت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التي تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيما — من لذة الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علاقة — افتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانيه وهو يبكى ثم قال يا ابن العم ان لبنت عمي في هذه الليلة نبا وقد حدث لها حادث وعاقها عني عائق ثم قال لي كن مكانك حتى اتيك الخبر ثم اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عني ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يديه شيء يحمله ثم صاح الى فاسرعت اليه فقال اتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال فجعت في ابنة عمي في هذه الليلة فانها كانت توجهت الينا كعادتها اذ عرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ماترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش الجاريه ومافضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساءه على يديه ثم قال لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس الاسد فطرحه على يده وطلب الماء فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقبله ويبكي واشتد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغمر بنفسه — هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها — وصيرت بطن الارض لى ولها وطنا
اقول لدهر خانني بفراقها — وغار عليها أن اكون لها حزنا

ثم قال يابن العم سالتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني و بينك الا حفظت وصيتي انك سترانى الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك تغسلني اما وهذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد واكتب عليه ماياتى

كنا على ظهرها والعيش فى رغد — والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا — وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد و يصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى كدت الحق به من شدة حزنى عليه ثم تقدمت اليه وفعلت ما به أمرنى من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما فى قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنين أتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين (قال) فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة والله أعلم (حكى) أن الخليفة هرون الرشيد قلق فى بعض الليالى قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال ياوزير ان صدرى ضيق ومرادى الليلة نتفرج في شوارع بغداد ونتظر فى مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا أحد من الناس وننزل بزى التجار الاكياس فقال السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة وقلعوا ما عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا لباس التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الا كبر وتمشوا من

مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المقدر شيخا قاعدا فى شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا ياشيخ نشتهى من فضلك واحسانك أن تفرجنا الليلة فى مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بها فقال لهم الشيخ ومن يقدر على الفرجة والخليفة هرون الرشيد ينزل فى حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه مناد ينادي معاشر الناس كافة جيد وردىء شيخ وصبي خاص وعام عبد وغلام كل من نزل في موكب بالليل وشق الدجلة ضربت عنقه او يشنق على صارى مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له الخليفة هرون الرشيد وجعفر البرمكي ياشيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة اقبلت وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ اما قلت لكم ياستار لا تنكشف الاستار فقال هرون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا ياشيخ فى قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل الى قبو ووضع مئزر اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد أقبلت والشمع يوقد فيها واذا فى مقدم الحراقة مشاعل بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلي وعلى المشاعل قباء أطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى رأسه شاش موصلي وعلى كتفه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلي وهو يوقد به عوض الحطب ومشاعلي آخر مؤخر الحراقة مثله ومائتا مملوك واقفون ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى راسه خادم كانه مسرور وبسيف مشهور وعشرين نديما فقال الخليفة ياجعفر قال لبيك ياامير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احدا ولادى اما المأمون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمنادى ينادى معاشر الناس كافة الخاص والعام والجيد والردى والعبد والغلام جهاوات وغير جهوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج فى الدجلة او فتح طاقته حل ماله وضرب رقبته ومن لا يصدق يجرب (قال) فتامل الخليفة هرون الرشيدى فى الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال ثم التفت الى الوزير وقال ياوزيرى قال لبيك ياأمير المؤمنين قال والله ما بقى شيئا من شكل الخليفة وهذا الذى بين يديه كانه انت ياجعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كانه مسرور وهذا وهؤلاء الندماء كانهم ندمائى وقد حار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير وانا والله ياامير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى غابت عن العين فعند ذلك اخرج الشيخ الشختور الذي فيه الجماعة من تحت القبوة وقال الحمد لله على السلامة الذى لم يصادفنا فقال الخليفة ياشيخ وهذا الخليفة ينزل كل ليلة في الدجلة قال نعم ياسيدى له على هذا الحال سنة كاملة فقال الخليفة ياشيخ نشتهى من فضلك واحسانك ان لنا ليلة غد فى هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه

ونحن نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع و الطاعة ثم ان الخليفة وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى القصر وقلعوا ماعليهم من لبس التجار و لبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار قال الخليفة هرون الرشيد لوزيره جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم فى الانتظار فنزلوا عنده فى المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا الخليفة الثانى فى الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية تنادى على عادتهم فقال الخليفة ياوزيره هذا شيء لوسمعت به ماصدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشختور ياشيخ هذه عشرة دنانير وسر بنا فى مساواتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظرونا فاطلق الشيخ الشختور فى مساواتهم وسار فى ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى اثرهم الى آخر البساتين واذا بزربية بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين القدماء وزعقت المشاعلية والجاوشية واشتالت الغاشية وطلع هرون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم بين يدى الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى جاء بكم فى مثل هذا الوقت قالوا يامولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاء هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء واذا كنتم من بغداد لضربت أعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى أن وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ماحواه سلطان قصر قام من التراب وتعلق باكتاف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وستره وبول وفرش تذهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثاني الى القصر والجماعة فى خدمته الى ان جلس على كرسي من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسي بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر المزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رباطها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف

بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولا يديهم غسلوا واحضرت له المدام ووضعت الطاسات والاواني وصفت الاباريق والكاسات والقناني ودار الدور الى ان وصل الى الخليفه هرون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفه الثانى لجعفر مابال صاحبك لا يشرب فقال يامولاى له مدة ماشرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على بشراب التفاح ففى الحال أحضر فقدم بين يدى هرون الرشيد وقال كلما وصل الى الدور فاشرب من هذا ولا يزالون يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم و نفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله ياوزير ماعندنا آنيه مثل هذه الا نيه فيا ليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينما هم يتحادثان بلطائفه اذلاح من الشاب التفاته فوجد الوزير يساور الخليفه فقال المساررة عربدة فقال الوزير ماثم عربدة الاان رفيقي هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد مارأيت احسن من هذا النظام ولا مثل آنيه هذ المدام الا ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة الجنون فلما سمع الخليفه الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جاريه قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسى وجلست عليه الجاريه وهى كالشمس الصاحيه وبيدها عود من صنعة الهنود وشدته وحنت اليه بعد ان ضربت اربعه وعشرين طريقه عليه فاذهلت العقول وعادت الى الطريقه الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتى لك ناطق ... يخبر عنى اننى لك عاشق
ولى شاهد من طرف قلبى معذب ... وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذى قد اذابنى ... وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت ادرى قبل حبك ماالهوى ... ولكن قضى الرحمن فى الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفه الثاني هذا الشعر من الجاريه صرخ صرخه عظيمه وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه البشخانه واتى ببدلة غيرها احسن منها فالبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جاريه احسن من الاولى وجلست على الكرسى وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطبارى ونار الحب في كبدى ... والدمع مع مقلتى طوفانيه مدد
والله ماطاب لى عيش امرية ... وكيف يفرح قلب حشوه كمد

(قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح الباب وخرج منه خادم ومعه كرسى

وخلفه جارية فجلست ومعها عود يذهل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم　　فقؤادى وحقكم ماسلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا　　ذا غرام متيما فى هواكم
قد براه السقام عن عظم وجد　　يتمنى من الاله رضاكم
يا بدورا محلكم فى فؤادى　　كيف اختار فى المنام سواكم

قال فصرخ الشاب وشق ماعليه من الثياب فارخو عليه البشخانة واتوا ببدلة غيرها وعاد الى حالته الاولى مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسي جلسة تخلب العقول واخذت العود وغنت تقول

ترى ينصرم حال التها جر والقلا　　ويرجع ماقد انقضى لى اولا ايام كنا والديار تلمنا
فى طيب عيش والحواسد غفلا　　غدر الزمان بنا وفرق شملنا من بعدها تيك المنازل والحلا

اتروم منى ياعذولى سلوة　　وارى فؤادى لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلنى بصبابتى　　القلب من انس المحبة ماخلا
ياسادة نقضوا العهود وبدلوا　　لاتحسبوا قلبي لبعدكم سلا

(قال) فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه من الثياب ووقع على الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشخانة على العاده فوقع حبالها بالارادة فلاحت من هرون الرشيد التفاتة فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظرة والتأكيد لجعفر انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عند احد منه خبر هل رايت ماعلى جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانة عليه على العادة واتى ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشيته فاستوي جالسا على العادة مع الندماء فحانت منه التفاتة فوجد جعفرا والخليفة يتحدثان فقال لهما ماالخبر يافتيان قال جعفر يامولاى خير لاشك ولاخفاء ان رفيقى هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب ملوك واخيار وقال ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم لم أر أحدا فعل هذا الفعل فى هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شيء زايد فى العيار فقال الشاب ياهذا المال مالى والقماش قماشي وهذا من بعد انعامى علي الخدم والحواشي فان كان كل بدلة شققتها هى لواحد من الندماء والحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد ذلك عند الوزير جعفر وقال

بنت المكارم وسط كفك منزلا　　فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم اغلقت ابوابها　　يوما فانت لقفلها مفتاح

(قال) فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد ياجعفر اسأله عن الضرب الذى رايناه

علي جنبه حتى ننظر مايقول في جوابة فقال الوزير يامولاى لا تعجل وترفق بنفسك والصبر اجمل فقال وحيات رأسي وتربة العباس ان لم تساله اخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وما الخبر فقال خيريامولانا فقال سالتك بالله الا ماأخبرتني بخبره ولا تكتم عني شيئا من امره فقال يامولاى انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يالله العجب الخليفه يضرب وقصده يعلم السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم اعلموا ان حديثي عجيب وامرى غريب ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد

حديثي عجيب حاز كل العجائب ... وحق الاله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا الى فانصتوا ... ويطرب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة ... وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد مورد ... ويقتلني منها قسي الحواجب
وقد حس قلبي ان فيكم امامنا ... خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكموا يدعى الوزير بجعفر ... حقيقة يدعي صاحب وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة ... فان كان هذا القول حقا بصائب
فقد نلت ما ارجو على كل حالة ... وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك خلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورون فضحك الشاب وقال الذى اعرفكم به ما انا أمير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لا بلغ ماأريد من ابناء المدينة واسمى على ابن محمد الجوهري وان أبي كان من الاعيان ومات وخلف لى اموالا لا تاكلها النيران من ذهب وفضه ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرجان وحمامات وغيطان وبساتين وفناديق وطواحين وعبيد وجوار وغلمان فلما كان فى بعض الايام وانا جالس فى حلوتي وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهم الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهرى فقلت لها مملوكك وعبدرقك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها ياستى الذى عندى يحضر بين يديك فان اعجبك شيء يكون بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء منه فيبسوء حظي وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منها وقالت اريد احسن مما رأيت وكان عندي عقد صغير شراؤه على والدى بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند أحد السلاطين الكبار فقلت ياسيدتي بقي عندى عقد الفصوص الجواهر الذى لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة الف دينار فقالت لك خمسة آلاف زائدة فقلت لها ياسيدتي العقد وصاحبه فى

الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائدة ولك المنة الزائدة وقامت من وقتها عضلة وركضت البغلة بسرعه وقالت يا سيدى نور الدين باسم الله قم صحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معهن فى امان الى أن وصلنا الدار فوجدتها دار عليها السعادة لائحة وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجيب هذه الابيات

الا يادار لايدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف اذاماضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرت بجلوسي الى أن يأتى الصيرفى فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت وقالت ياسيدى ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة واذا بجارية خرجت الي وقالت ياسيدى تقول لك سيدتي ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد وقعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهني ولبي من رؤية هذه الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت نحوى وقالت يا نور الدين هل رأيت جميلة مثلى فقلت يا سيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا على اعلم انى احبك وماصدقت بك الا لما حضرت عندى ثم انها طوقتني وعانقتني فقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني انى اريد أمرها قالت يا على اتريد ان تجتمع بي فى الحرام والله ماكان يفعل بي فى الانام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنى مني احد ولست مجهولة فى البلد أتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت خالد البرمكى وأخي جعفر فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطرى عنها وقلت ياسيدتي مالى ذنب فى التهجم عليك انت التى اطمعتيني فى احسانك والوصول الى جانبك فقالت لا باس عليك ولا من الاحسان اليك فان امري بيدى والقاضي وليى عقدي والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم أن القاضي حمد الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد أن اعطت للقاضي شيئا ماله حساب وأحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى رؤسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشدت تقول

قلبي وآمالى بباب رجاكمو لا ابتغى فى الكون غير رضاكموا
ياجيرة جاروا على بيعدهم حنوا علينا وارحموا مضناكموا
حاشاكموا ياسادتي حاشاكموا صبا معنى مغرما بهواكموا

بالله جودوا وارحموا المتيم لايستمع فيكم حديث سوا كموا
مرسى اشتياقى فوق طول رضا كموا فاذا شجاه حسنكم ناجا كموا

(قال) فاطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجوارى يغنين جاريه بعد جارية و ينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياسى انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم يابدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كم ابيت بليلة اجلو جمالك في ضياء مكاس
مابين ورد جمعت الوانه مع نرجس ايضا وحن الاس

(قال) الشاب ثم اني اخذت منها العود وضربت وغنيت هذه الابيات

سبحان ربي جميع الحسن اعطاك حتى انا بقيت من بعض اسراك
يامن لها ناظر تسبي الانام به خذي الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى حديثك قد جمعا والورد جورى نبت فى وسط خداك
انت الغرام قلبي والنعيم له فما أمرك فى قلبي واحلاك

(قال) فلما سمعت مني ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بكرا وفرحت بها فرحا لم احده فى عمرى فانشدت

ياليل دم لى لم اريد صباحا يكفى بوجه معانقى مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدى وجعلت كفى للمنام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم علي المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز واي عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيده تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين ما اقوم من مقامى حتى تأتى الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لاتخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتنى بعود فغنيت عليه وانشدت أقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب وجسمه بيدى الاسقام منهوب
ماقى الركائب من زمت حمولهم الا وكان له فى الظعن محبوب

استودع الله في حيكم قمرا بهواه قلبي وعن عيناي محجوب
يرضي ويغضب ما احلى تدلله وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لي حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت في الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل ما تجيء اليك الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت العجوز امامي الى ان اوصلتني الى الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتني فجمعت رجليها ورمتني من على السرير وقالت يا نور الدين حنثت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة والله لولا خوفي من الهتيكة والفضيحة لخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها ياصواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلي وعصب عيني وأراد أن يضرب رقبتي فقامت اليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها يا ستاه ما هو بأول من أخطأ وما عرف خلقك وانت ما تبغضينه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت والله لا بد ان أؤثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربي فضربت على اضلاعي الضرب الذي رايتموه وأمرت باخراجي فاخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني ورجعوا وتركوني فلممت نفسي ومشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الي منزلي واحضرت جراحا واريته الضرب فلاطفني وسعى في مصالحي فلما صح جسمي دخلت الحمام وزالت عني الاوجاع والاسقام وجئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت أربعمائة مملوك ما جمعهم احد الملوك يرجع معي في كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقه بالف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسي بالخليفة ورتبت من الخدم كل واحد في وظيفته وناديت كل من تفرج في الدجله ضربت عنقه بلا مهله ولي على هذه الحالة سنة كامله ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كأنها البدر في تكوين خلقتها سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي الا محبتها فكيف حال الذي قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهرا دنفا والقلب قد حارمني في معانيها

(قال) فلما سمع هرون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شيء سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف واضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب ياوزيري علي بالشاب فخرج عليه بالحشم والخدم وسار الى منزل

الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفه وراى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزه الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول لازال بابك كعبة مقصودة وترابها فوق الجباه رسوم

حتى ينادى فى البلاد باسرها هـذا المقـام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديثك الليله يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدأ روعي و يطمئن قلبي فقال الخليفه لك الامان فشرع الشاب يتحدث بالذى جرى له من اوله الى اخره فعلم الخليفة ان الصبي عاشق فقال له اتحب ان اردها اليك قال نعم ثم انشد

ان رمت احسـانا فهـذا وقته اورمت معروفا فهذا حينه

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر اختك الست دنيا بنت الوزير يحيي فاحضرها فقال لها اتعرفين من هذا فقالت اين من النساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا كم عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى اخرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان فى الكتاب مستورا وانا نستغفر مما جرى واسال من فيض الفيض العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره فى اهنا عيش ونعمة والله اعلم

(حكي والله اعلم بغيبه واحكم) ان الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا أمير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى تطلع فوق سطح هذا القصر وتتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كانما حسن السماء ورزقها قد رقمت فيها افانين الصور

فكانما البدر حين لاح لنا فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تلتفت نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطلع على البستان و تفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التى كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة غنت وقد حدثت تعبر عن حال المشوق وتعرب

ترقص عطف البان تيها لانها   تغنى له طول الزمان و يشرب

واما ان تنام ياامير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال ياجعفر ما تلفت نفسى الى شيء من ذلك فقال ياامير المؤمنين افتح الشباك الذى يدل على نهر الدجلة فتتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد مواليا وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كيت وكيت فقال الرشيد ماتلفت نفسى الى شيء من ذلك قال جعفر قم ياامير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها مابين أدهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر واخضر وأبلق وأصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ماتلفت نفسى الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك فى قصرك ثلثمائة جارية مابين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة الى مغنيه الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق فلعل أن يزول ما بقلبك من الضجر فقال ماتهم نفسى الى شيء من ذلك فقال جعفر ياامير المؤمنين مابقى الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد عجزت عن اجازة هم مولانا فقال ياجعفر اماسمعت قول ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلي فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح امتى ثلاث ان يرى بعينه شيئاً مارآه أو يسمع شيئا ماسمعه او يطا مكانا ما وطئه فيتفق ياجعفر ما يكون فى بغداد مكان ماوطئناه اوشيء ماسمعناه أوموضع مارايناه فقال جعفر اتاذن لى ياامير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وانظر احدا من المسافرين احضره بين ايدى امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث ماسمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابى الحسن الخليع الدمشقى قال فلما راى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم فابلغ ثم قال ياامير المؤمنين وحامى حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوي لاعداك لاخمدت لك نار ولا اغيظ لك جار وانشد

دام لك العز والبقاء   ماأختلف الصباح والمساء
وذمت مادامت الليالى   بمدة مالها انقضاء
الناس ناس بكل ارض   وانت من فوقهم سماء

قال فرد علي الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث عجيب مليح لم نسمعه قط فقال الشيخ ياامير المؤمنين احدثك بشيء سمعته باذنى او بشيء رايته بعينى قال الرشيد ياشيخ ابا الحسن التى تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ ياامير المؤمنين افرغ لى ثلاث اشياء منك فقال ماهي الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات ياابا الحسن فقال ياامير المؤمنين لى عادة انى اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد سليمان الزينبي واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد عليه الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى فى سنة من السنين انى سافرت الى البصرة علي عادتي ودخلت على

الاميرمحمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى ارباب دولته بخدمتى واكرامى الي ان يعود واوصى الطباخ ان لا يطعمنى الاشيئا تشتهيه نفسي فاشتهت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتي ثقل على فؤادى فقلت مايصرف عنى هذا الاالمشى ولى عدة اسفار الي البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حجة وفرحة ثم انى نزلت اتمشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقا ولا تطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الى شاطىء الدجلة وقلت مالى الاآن اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من ماء فاتيت الى درب فيها خمسة دور ودار ان متقابلتان لدار ين ودار صدرانية قدقامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصائب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدثر ومكتوب عليه هذه الابيات

الا يادار لايدخلك حزن ... ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار انت لكل ضيف ... اذاما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا وقائلا يقول

بالله ربكما عرجا على سكنى ... وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا فى حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة ... ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب ... فغالطاه وقولا ليس تعرفه

(قال) فقلت ياحبذا ان كان قائل هذا الصوت شخصا صورته على قدر صوته واحتشمت ثم انى قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الى الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومددت طرفى واذا انا بدار قداقبلت منه عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورأيت فى صدر المكان ايوانا وبركه وشاذروانا وفى ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخد بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قيل بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... فى قالب الحسن لاطول ولا قصر

جرى بها الشحم حتى دار اعنكها ... طى القباطى فلا سمن ولا غور

كأنها فرغت من ماء لؤلؤة ... فى كل جارحة من حسنها قمر

الاان الجارية ياامير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعندراسها

طبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكيه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعل الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اناهمت بكتمان الهوى لطقت مدامعي بالذى اخفى من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعة وان كتمت فدمعى غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من أين يا شيخ فقلت لها من بغداد حملني العطش الى ان اتيت الى هنا فقالت لعل أن يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رددت على الجواب فانا أعطي لك خمسمائة دينار ثم كتبت وهي تقول أما بعد يعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن أسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وأنا القائلة حيث أقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد ومعي اذا ماذ كريما ولا كنت الا ماحبيت لكم عبد
فوالله ماحبيت ماعشت غيركم ولا كنت الاحبيت لكم عبد
سلام عليكم مامر فراقكم فلا كان منكم ماجرى آخر عهد

امابعد فهذا كتاب من ليلها في تحيب ونهارها في تعذيب لاتركن اذلي عال ولا تصغى الى قائل قد غلبتها أيدي الفراق ولو شرحت بعض ماعندها للفسيح ضاق وماوسعتة الاوراق ولكن أسأل الله الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت

أحبة قلبي وان جرتمو على فكل المنى أنتم رحلتم وفى القلب خلفتمو لهيبا فهلا ترفقتمو وودعتمو يوم وودعتمو باحشاى نارا واضرمتمو

وماكنتمو تعرفون الجفا على شؤم بختي تعلمتمو

قالف ألف لا أوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقى اليكم ماحن الغريب الى الاوطـان فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي وأنشدت تقول

احبابنا مارق دمعى لفرقتكم يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لى بعدكم جلد ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادى بالهوي كذبا ولست أول من بانت غواشيه

(وقال) ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولته اياى فاخذته واتيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان أشقر من الخيل الضمر والامير فى ظهره كانه البدر فى منزلته والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف

نحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار أخضر فوق خد أحمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال

قمر تكامل فى نهاية حسنه ... مثل القضيب على رشاقة قده

فالبدر يطلع من ضياء جبينه ... والشمس تغرب في شقائق خده

ملك الجمال بأسره فكأنما ... حسن البرية كلها من عنده

(قال) ابو الحسن فما امهلته دون أن اقبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني واخذ بيدى وادخلنى الدار وأنشد يقول ماظن الزمان يأتي بهذا * غير اني رأيته في منامى فلما جلس على البركة اقبل على يحدثني ساعه واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام مادرج وتطاير فى الاسحار وتناكح فى الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج حمر وافراخ رضع وبعلبكات السكر فقال لى بسم الله كل ياشيخ اباالحسن فقلت لا والله يامولاى ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لى حاجتى فقال يااباالحسن كان هذا من الاول واين الكتاب الذى للست بدور فقلت ياسيدي وماهي الست بدور فقال التى جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ماهو كيت وكيت فقلت يامولاى اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا فلاى شيء كتبت الكتاب فقلت أوجاء احد من عندها واعلمك فقال انه لا يجسر أحد من غلمانها يقابلنى فقلت ولا راح احد من عندك اليها فقال هى اخس واحقر من ان يمضى اليها أحد من عندى فقلت ياسيدى الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعاقل أما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون ... ترى مالا يراه الناظرون

وأجنحة تطير بغير ريش ... الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يامولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه فى البركة فصعب على فلما علم منى ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندى كل واشرب وخذ منى الخمسمائة دينار التى وعدتك بها الست بدور وانا أحب اليك منها وأنشد يقول

رأيت شاة وذئبا وهي ماسكة ... باذنه وهو منقاد لها سارى

فقلت اعجوبة ثم التفت ارى ... مابين نابه ملقى نصف دينار

فقلت للشاة ماذا الالف بينكما ... والذئب يسطو بانياب واظفار

تبسمت ثم قالت وهى ضاحكة ... بالتبر يكسر ذاك الضيغم الدار

(قال) فلما سمعت كلامه ياأمير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا البواطى والسقحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى ان قرب الغروب فقال يااباالحسن ما لذة الامير اذا شرب الى المساء من غير غناء فقلت يقال الشراب بلا طرب ولا سماع الدن أولى به فقال لى قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب واللازورد

العجب وهى مزخرفة قد عبق ازهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت أقداحها لمجلس الامير عمر وأجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يامولاى قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن أولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاث جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها وأصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بمزمارها فخيل لى ان المجلس الذى نحن فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

احبابنا انى من يوم فارقتكم ... على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم ... عسى يفيق من الاسقام ماتقعا

فوالله ياامير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفيه ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وانشدت

أمؤنس طرفى لاخلامنك ناظرى ... وجامع شملي لاخلامنك مجلسى
وياساكن قلبى وما فيه غيره ... يحل فما استوحشت فيه لمؤنسى
وبالله ياعين الورى من ملاحة ... تصدق على صب من مصير مفلس
انلنى الرضى حتى اغيظ به العدا ... ياموحشى من بعدما كان مؤنسى
رضاك الذى ان نلته نلت رفعة ... والبسنى فى الناس اشرف ملبس

قال والله ياامير المؤمنين لم نملك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية نحو الدفيه وقالت لها يافلانة تحسنى ان تقولى مثل هذا فقالت الدفيه انا احفظ ابياتا اظن انك لاتحفظين لهن وزنا ولاقافية ولاعروضا قالت العودية هات ماعندك فنقرت الدفية على دفها باناملها ورفعت صوتها وهى تقول كررت ورده ذكرهم فى مسمعى ... فهم الشفا لتالمى وتوجعى

اقصر بعذلك ياعذول فان لى ... قلبا لعذلك لايفيق ولا يعى

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هات فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية ثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت تقول

ان لم اسل وادى الاسيل بادمعى ... اعلم بانى فى الصبابة مدعى
ياسعد ان جئت الغوير وعاينت ... عيناك بان المنحنى فاترجع
وخذ الحذار من العذول المختفى ... واحذر بصيدك لحظات البرقع

(قال) والله ياأمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غنى لى عن الذى بقلبى وحدي فعندها اساوت عودها وقالت

ماكنت اول رامق صباصبا ... نحو التصابى وهو عشر الصبا
فعلام يعذلنى العذول على البكا ... لولا الغرام لها غدوت معذبا

حكم الهوى بحكمه في مهجتي ولقد غدا قلبي به يتقلبا
يا للرجال خبا الهوى بحشاشتي نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا قلبي غزال لو رأت بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الغرام فقال لي مهلا رويدا اين مني تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يامولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم في مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسالت عن الامير عمرو فقالت بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا لابسه فرأيت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفه خلف الباب تنتظر وهى تقول

يارسولى الى الحبيب اعتذرلى فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عني بلطف اى ذنب جري فاوجب هجرى

فلما رأتني قالت ياشيخ قمح ام شعير فقلت لا والله ماهو الا روان والله مارضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب ياابا الحسن مامضى الليل واتي النهار على شيء الا وازاله وغيره وغيره الله مافي القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده اياما واخذت رسمي وعدت الى بغداد ثم اني في السنة الثانية سافرت الى البصرة على ما جرت العادة به ومضيت الى الامير عمرو بن جبير الشيبانى لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الاثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وانشدت اقول

يادار اين ترحل السكان وسرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس كان بك الضياء مع الهنا واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعني بعض الغلمان فظهر لى وقال من ذا الذى يبكى على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ما عندنا فقلت له ياعبد الخيران صاحب الدار كان من اصدق الناس الى فما فعل الزمان به فقال لى الغلام يامولاى هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلى الطريق فقال لى الغلام يامولاي من اقول فقلت قل الشيخ ابو الحسن الدمشقي المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعه وعاد وقال لى بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمر نائما وعند رأسه طبيب وهو يجس يده ويقول له يامولاى الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع فلما سمع الامير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد

قال الطبيب لقومه حين جس يدى هذا فتى ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد قاربت فى صفتى عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كتابا فيه بعض دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت عمر الى وقال ياشيخ

أبا الحسن أما تنظر الى هذا الحال الذي وقعت فيه فقلت له حاشاك من الاسواء ماسبب ذلك قال ماأعرف له سببا الاان هجر الست بدور قد قتلني وحبها أضنى فؤادى فقلت يامولاي العام الماضى تركتك أميرا واليوم أتيت لقيتك أسيرا فما السبب فقال الامير عمرو ياشيخ انى فى ليلة من الليالى ركبت في الشط وقد شحنت مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام واوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط وبقينا فى لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذا قد اقبل من صدر الشط مركب وهى تعزف بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى تتفرج وننظر أينا أحسن تعبية مركبنا اوهذه المركب فمدت عيني فرأيت صاحبتى الست بدور وهى بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهى مثل اسمها اسم على مسمي فلما وقعت عيني عليها كانما رمت فى قلبى سهمها فقلت فى نفسى مافارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم انى تذكرت العهد القديم الذى كان بيننا فلم أقدر اصبر فمددت يدى وأخذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتني فقالت للملاح ارجع بنا الي البر نحن خرجنا هذه الليله نتشرح فارسل الله هذا الفتى يبغض علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمنى أضرمت النار فى قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب ثم صرت الطالب فلم يهنالى عيش فى هذه الليله وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلى وماذقت طعم المنام فلما اصبحت لم يقرلى قرار وصرت اترقب ان يأتي أحد من عندها ثلاثة ايام فلم يات لى احد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم تردلى جوابا وقد رميت روحى على كل كبير فى البصرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولى مدة انتظرك ياشيخ ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هى ردت لك جوابه اعطيتك الف دينار وان لم ترد جوابه إعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة وقرطاس وكتب في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو اليك الصبابة ويسالك بالله ان تردي جوابه اما بعد يعجز لسانى ويكل جنانى مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر ويكى لبكائى صم الحجر فالف الف لا أوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولى اياه فاخذته وأتيت به الى الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخي وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى الخادم وقلت له قم ياوالدى ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى يطلب الدخول فغاب ثم عاد وقال بسم الله ادخل فدخلت فسمعت الست بدور وهى تقول ولاصبرن على الزمان وجوره حتى يعود كما اريد واشتهى
قال فلما دخلت رأيتها قاعدة على خالة البركة بين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت

يديها وجلست فنظرة واذا عليها غلاله لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانها عمود مرمر وعلى الغلاله مكتوب هذه الابيات

فاقبلت فى غلالة زرقاء لازوردية كلون السما فتأملة فى الغلاله القى
قمر الصيف فى ليالى الشتاء ليتنى كنت للمليحة عقدا او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا لاصقا للفؤاد والاحشاء ضربتنى بخنجر العشق حتى
صرت ملقى مخضبا بدمائى تركتنى على الطريق ونادت من يصلى على قتيل هوائى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدله قماش وغيرت ما كان عليها وجلست ثم أمرت باحضار المائدة وقالت بسم الله كل ياأبا الحسن فقلت لا والله ما أكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ماعبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب في طي عمامتك وبالاماره قال لك ان رددت الجواب اعطيتك ألف دينار وان لم ترد الجواب أعطيتك مائة دينار فقلت ياستى من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون ترى مالا يراه الناظرون

وانا ياشيخ أباالحسن أعشق منه وأرى اكثر ممن يراه فقلت صدقت يامولاتى كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وعرفته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته في البركه فلما رايت ذلك قلت في نفسى هذا بذاك وقرض الدين لا بدله من وفاء الا اني حصل لى بعض غيظا للالف دينار التي تفوتني فنظرت الي وعرف مني ذلك فقالت ياشيخ أباالحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار فبت الليلة عندى وكل واشرب والتذ واطرب وخذ لك غدا منى ألف دينار وأمض فى وداعة الله فقلت ياسيدتي يكاد الامير عمر وان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت ياشيخ تعرف لعب الشطرنج قلت ماألعب الا على الحكم والرضا فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجوارى ان يرمونى فى البركة فمسكونى ورمونى فى البركة وضحكن على ساعة ثم أخرجونى وقد ابتلت جميع حوائجى فلما رأتنى على تلك الحالة أمرت ببدله من القماش من احر الملبوس فلبستها ثم قالت أتلعب ايضا على الحكم والرضا قلت نعم فلعبنا فتغايرت عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مشغله واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتنى الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس واطرقت راسها وكتبت تقول

الا ياعمر وكم هذا العناء وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الى تشكو ماتلاقي من الاسقام اذ نزل القضاء

فسقم لا يزال بطول دهروده ماله ولوساعد تنا ياعمرو يو مالساعد نالك اذا نزل البلاء فمش صبا ومت كمدا حزينا فواحدة بواحدة جراء فلما فرغت ناولتني الورقة فقراتها فقلت ياستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمروا كتبي له غير هذا فقالت ياشيخ انت رسول والا فضولي وطفيلي فقلت فضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما بيت الا في الوسط ويهني بليت بكم فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت ياست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبينها للامير عمر فلو ابصرتيه ماعرفتيه من شدة يقاسي من الاسقام والالام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شيء به من المرض فقلت ياسيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي جعل اجتماعنا علي يدك ثم دعت بقرطاس وكتبت في اول الكتاب بسم الله ثم انها ابتدأت تنشد

وصل الكتاب فلا عدمت انا ملا عنيت به حتى تضوع طيبا
ففضته وقراته فوجدته تخفي اوجاع القلوب طيبا
فكان عيسى قد اعيد لامه اوثوب يوسف قد اتي يعقوب

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ماعليه من مزيد وما مولها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد واقول

اشتاقكم حتى اذا نهض الهوى لقامكم قعدت بي الايام
والله اني لووصفت صبابتي فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيه فتاد المسك والطيب وطوتها وحققتها وناولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو فدخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحب بيننا اسحرام القرطاس اصبح غاليا

فاستاذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي اقمح ام شعير قلت له قمح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علي حتى انه من عظم ما قد سرني ابكاني
ياعين قد صار البكا لك عادة تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قال لي ياشيخ ما اظن ان الحديد يلين ولا الصخر يدوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك يامولاي فقلت والله ما صنعته وكتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذا هي عبرت علينا تخطر في قوامها وهي تنشد

نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يامولاي المثل يقول العصفور يتقلى والصياد يتقلى وانتم تقولون واقرباه وانا اقول واحزناه فقالت بدور صدق

الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمر ولبعض غلمانه اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار يستحق والله اكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني اياه واعطتنى الست بدور مثله ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبي وقعدت عنده على عادتي واخذت رسمي الذى عليه فى كل سنة وعدت الي بغداد فما رايت سنة ابرك منها حصل لى فيها اربعة الاف دينا وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال ماقصرت ياشيخ ابا الحسن خـذ من جعفر الف دينار لانك انت الذى ازلت عني مابقلبي فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه هو الذى ازال عنه ما كان يجده فقال ابوالحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى ثم انه قبض الالفى دينار ومضى الى منزله والله اعلم

(وهذا سبب قتل البرامكة وماوقع لهم مع الرشيد)

والقصة فى ذلك على مارواه ابراهيم بن اسحق بن ابى نورزاهر بن صقلاب قال بلغني انه كان لهرون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال له يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر اختي ميمونة ولـكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها لا باحة النظر من غير ان يقربها فاتفق على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكى امراة تزين له الجوارى كل ليلة فجاءت لها ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد كـنت اسالك ان تساعدنى على مودتك فتابى فلما ايست منك احتلت عليك بما رايت فى هذه الليلة وان لم تواظب لا كونن سببا فى سلب نعمتك وهل انت الا زوجى فقال لهـا جعفر ويلك اهلـكتيني وأهلـكت نفسك وكان كما قال ولم يرها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث (قال) المبرد قال ابوعبد الله المـارستاني عن يحيي ابن اكثم القاضى قال سالت اسمعيل بن يحيي الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر و باطن القصة كان سبب ذلك أنى كنت مع الرشيد يومامن الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن نسير اذ نظر الى موكب بالبعداء عرضنا فقال لى يااسمعيل لمن هذا فقلت هو لاخيك جعفر بن يحيي فالتفت يمينا وشمالا الى من معه فى موكبة فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال يااسمعيل مافعل جعفر وموكبه فقلت ياسيدى قدمضى أخوك فى طريق ولم يعلم بموضعك فقال ماراتنا اهلا أن يزيننا بموكبة ويجملنا بجيشه فقلت العفو ياأمير المؤمنين لوعلم بمكانك ماتعداك وماسار الا بين يديك واعتذرت بما حضر لى من الـكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواشي كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى البيدر والى كثرة الغلال فيه والمواشي و يسار أهلها فالتفت الى وقال يااسمعيل لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم

سرنا ولم يزل يمر بكل ضيعة أعمر من الاخرى وكلما روسالني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فاردت وداعه والانصراف الى منزلي فنظر الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسمعيل قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا واغفلنا امرهم فقلت في نفسي بلية والله قلت لماذا يا امير المؤمنين قال نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء لاني لا اعرف لاحد من اولادي ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد قرب هذه المدينة فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق في سائر البلدان فقلت يا امير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكون لك فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بني هاشم الا عبيدهم وانهم هم الدولة وان لا نعمة لبني العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير المؤمنين ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسماعيل انك لتعلم اني قلت هذا وكاني اراك ان تعلمهم بكلامي فتتخذ لك عندهم واني آمرك ان تكتم هذا الامر فانه ما علم به احد غيرك ومتى بلغهم شيء مما جرى علمت انه ما افشاه الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلي يفشي سرك قال وكان هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا في ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان في محل يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب الغربي وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد واميرو عامل يردون في كل صباح يوم الى قصر جعفر فالتفت الي وقال يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك واذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون وانما بابه باب من ابوابك فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم الى قصري وتورث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا أصبر على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وأمتلا غيظا فامسكت عن الكلام وقلت والله هذا اقضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم أستاذنته في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم واكملهم ظرفا كاتبا حاسبا ابيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا اخبارنا

فقلت ايها الوزير نصيحة افتاذن لى في الكلام فقال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الغلام بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكرا بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متاهبون للسفر فقلت ياسيدى انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسمعيل ما اكل الخبز الا بفضلى ولا قامت هذه الدولة الا بنا أما كفي انى تركته لا يهتم بامر شيء من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملات بيوت امواله اموالا ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته واخترته لولدى وداخله حسد بني هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لان سالنى شيأ من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله ياسيدى ما كان ما ظننت شيء ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لانى صرت بينهما فى حالة تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره واى شيء لى بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال وحدثنى خادم ام جعفر ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بينى وبينه وتكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرا الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا في ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل فى اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما فى قلبه واطلعها على الكتاب الذى رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تملكت الحجة عليه بالغت فى المكر بهم واجتهدت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبرك بمشاورتها فقال اشيرى علي برأيك الموافق الرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك اخبرتك بما هو أصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى اسمع منك فقالت ان هذا الامر اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفر محلا لم يحله اخوه ولا ابوه وأمره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وابرز اليه جواريه واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوى امراته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم علي هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر انه يدخل على الحريم فى غياب الرشيد ويقضى حوائجهن لانهم لا يستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد ماحدث من جعفر قال فخرج الرشيد واستدعى

يارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من المنصور ان لم تصدقني
في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان ياامير المؤمنين قال نعم اعلم ان لك الامان فقال
اعلم ان جعفر قد خانك في اختك ميمونة ودخل بها منذ سبع سنين وولدت منه
ثلاث بنين احدهم له ستة سنين والآخر خمس سنين والثالث عاش سنتين
ومات قريبا والاثنان قد انفذها الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي
حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول الى بيتك وامرتني ان لا امنعه في أى
وقت شاء ليلا اونهارا قال امرتك ان لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني
أول مرة ثم امر بضرب عنقه على الفور ودخل على زبيدة وقال لها أرأيت ماعاملني
به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم
فقالت هذه هي شهوتك واردتك عمدت الى الشاب جميل الوجه حسن الثياب طيب
الرائحة جبار في نفسه وادخلته على ابنة خليفة من الخلفاء والله هي احسن منه وجها
وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم ترعا رجلا قط غيره فهذا اجزاء من جمع بين
النار والحطب فخرج من عندها مكروبا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظا غليظا
قد نزعت الرحمة من قلبه فقال يامسرور اذا كان الليلة بعد العتمة ائتني بعشرة من الفعلاء
جلاد ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة اجاء مسرور ومعه الفعلاء فقام الرشيد
وهم بين يديه حتى اتى المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم
يعاتبها على مافعلت وامر الخادمين بادخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها
ووضعها بحليها وثيابها كما هي والقفل عليها وقد علمت انها بد قال ارجوان لاحقة
به فلما علم انه استوثق منها دعى الفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفر واوسط تلك
المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي ثم قال حسبكم هاتوا الصندوق فدلوه في
تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل
الباب واخذ المفتاح معه وجلس في موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يامسرور
خذ هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم في جواليق وخيط عليهم
بعدان ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم في وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين
يديه فقال يامسرور فعلت ماامرتك به قال وفيت القوم اجرتهم فدفع اليه مفتاح البيت
وقال احفظه حتى اسالك عنه وأمض الان فانصب في وسط المحل القبة التركية ففعل
ذلك وافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس في مجلسه وكان يوم الخميس
يوم موكب جعفر فقال يامسرور لا تتباعد عني ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على
مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكي فسلم عليه فرد عليه السلام احسن رد ورحب به
وضحك في وجهه فجلس في مرتبته وكانت اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حدثه
ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحي فقراها عليه وامر

ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذن جعفر في الخروج الى خراسان في يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات ونصف واخذله الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في نجمه فقال يا اخي هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حدث ولكن تصلي الجمعة وترحل في سعودك وتبيت في النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من هذا اليوم فارضى جعفر بما قاله الرشيد حتى اخذ الاضطرلاب المنجم وقام واخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال والله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس ومارايت نجما اشد احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج في مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه و يبجلونه الي ان وصل الى قصره في جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس فلم يستقر به المجلس حتى بعث الرشيد مسرورا وقال له أمض الى جعفر وائتني به الساعة وقل وردت كتب من خراسان فاذا دخل الباب الاول اوقف الجند واذا دخل الباب الثاني اوقف الغلمان واذا دخل الثالث فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل في صحن الدار فمل به الى القبة التركية التي امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتني براسه ولا توقف احدا من خلق الله على ماامرتك به ولا تراجعني في امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك و ياتيني براسك وراسه جمله وفي دون هذا كفايه وانت اعلم وتبادر قبل ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستاذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدي اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع منه وقال ويلك يامسرور انا في هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال وردت كتب من خراسان يحتاج ان تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول اوقف الجند وفي الثاني اوقف الغلمان ومال به الى القبة المضروبة في صحن الدار وأدخله فيها فحس بالبلاء وقال المسرور ما الخبر قال انت تدري ما القضيه وما كان الله ليهملك ولا ليغفلك فقد امرني أمير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه و يقول يا اخي يامسرور قد علمت لك كرامتي دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من أمير المؤمنين وما يوحيه الي من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة الف دينار احضرها لك الساعه قبل أن اقوم من موضعي هذا و خلني اهيم علي وجهي فقال لا سبيل الى ذلك ابدا قال فاحملني اليه واوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تداركه الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته وقد علمت انه لا سبيل الى الحياة ابدا قال فتوقف عني ساعة وارجع اليه وقل له قد فرغت مما أمرتني به

واسمع مايقول وعد فافعل ما تريد فان فعلت ذلك وحصلت الى السلامة فانى اشهد الله وملائكته انى اشاطرك فى نعمتى مما ملكته يدى واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع فى الحياة قال له مسرور بما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل ار بعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدى الرشيد وهو جالس يقطر غضبا فى يده القضيب المولع ينكت به الارض فلما راه قال ثكلتك امك مافعلت فى امر جعفر فقال ياامير المؤمنين قد انفذت امرك فيه قال فاين راسه قال فى القبه قال ائتنى براسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذى اخذه وضرب عنقه واخذ راسه بلحيته فطرحه بين يدي امير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعداء و بكي بكاء شديدا وجعل ينكث فى الارض اثر كل كلمة و يقرع اسنانه بالقضيب و يخاطبه و يقول ياجعفر الم احلك محل نفسي ما كافاتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدى ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت فى عواقب الامور ولا تفكرت فى صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها ياجعفر خنتني فى اهلي وفضحتني بين العرب والعجم ياجعفر اسات الى والى نفسك ولا تفكرت فى عاقبة امرك قال مسرور وانا واقف بين يديه وهو ينكث فى الارض في كل كلمه ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعى بماء فتوضا للصلاة وخرج للجامع فصلي بالناس جماعة ثم التفت بوجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح مافيها ووجه مسرور الى المعسكر فاخذ جميع مافيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر احد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيي واخاه الفضل فى مطمورة وأمر بجثة جعفر فصلبت علي الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان أن يوطن بلادها وأمر الناس فردوا مضاربهم ودخل المعسكر واستقرت له الامور واحضر علي بن عيسى بن هامان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة فادخلا عليه فى بيته فلما رآهما اعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك ياقرة عيني قال الحسن وقال للصغير ما اسمك ياحبيبي قال الحسين فنظر اليهما وبكي بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدريا مايراد بهما ثم قال يامسرور مافعلت بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر ياامير المؤمنين قال فائتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فى البيت حفرة عميقة ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك

يبكي بكاء شديدا حتى ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت المصلاة فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقال ان صاحب السر عملها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها فى صحن الدار ولا اعلم من طرحها فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقى من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت فى غيظه فاستدعى فى الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد فى حديده واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيراً وزاد فى حديده واغلاله ايضا وكان قد نشأ فى النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغيل وهو بسم الله الرحمن الرحيم الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد اسلمته ذنوبه واشقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب كاس الموت مترعة وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا أمير المؤمنين قد اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك وكان فى يدى عارية منك ولا باس برد العوارى الى أهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجراءته عاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق [ما] استحق واما الفقير فاذكر يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لى رضاك فمن مثلى الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففى ذلك ما يكتفى به امير المؤمنين ويرى الخليفة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشا يقول

قل للخليفة ذى الصنا ئع والعطايا الفاشية	وابن الخلائف من قريـ ش والملوك العاليه
راس الامور وخير من ساس الامور الماضيه	ان البرامكة الذين يرموا لديك بداهيه
عمتهمو لك سخطة لم تبق منهم باقيه	فكانهم مما بهم أعجاز نخل خاوية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديه	مستضعفون ومطردون بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزارة والامور الساميه	ومنازل كانوا بها فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو منك الرضا والعافيه	يامن يريد لى الردى يكفيك ويحك مابيه
يكفيك انى مستبا ح عترتى ونسائيه	يكفيك ما ايضربه

ذل وذل مكانيه فلقد رايت الموت من قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبير والدموع الجارية ومقالها يتفجع
ياسواتي وياشقائيه من لي وقد غلب الزمان على جميع رجاليه
يالهف نفسي لهفها ما للزمان وماليه أوما سمعت مقالتي
ياذا الفروع الزاكية ياعطفة الملك الرضا عودي علينا ثانيه
فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات
يا آل برمك انكم كنتم ملوكا عاتية فعصيتموا وطغيتموا
وكفرتموا نعمائيه هذي عقوبة من عصي من فوقه وعصيانيه
اجري القضاء عليكمو ما خنتموه علانيه من ترك نصح امامكم
عند الامور البادية
ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما قرأها يحيي وهو بالسجن أخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وآيس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت تضرب لهم السرادقات المكللة بالديباج مفروشه بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدوقه به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان يحيى مات فى السجن فكتب رقعة واوصي ولده الفضل ان يوصلها الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات
ستعلم فى الحساب اذا التقينا غدا يوم القيامة من الظلوم وينقطع اللذائذ عن اناس
من الدنيا وتنقطع الهموم تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يانووم
تروم الخلق فى دار المنايا وكم قدراوغيرك ماتروم الى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصوم
قال فلما قدم الرشيد انفذها اليه الفضل فلما قراها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا لفرجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمه الله عليهم اجمعين
وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بنى برمك فرأى لوحا مكتوبا فيه هذه الابيات
يامنزلا لعب الزمان باهله فابادهم بتفرق لايجمع ان الذين عهدتهم فيما مضى
كان الزمان بهم يضر وينفع اصبحت تفزع من رآك وطالما كنا اليك من المخاوف نضرع
ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقي الذين حياتهم لاتنفع
(قال) فبكي الرشيد واقبل على الاصمعى وقال تعرف شيئا من اخبار البرامكة تحدثني به

فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيي وذلك انه خرج يوما للصيد والقنص وهو في موكبه اذ رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال اخفف عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الان قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها ام من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك لم يقصد ثمانمائة فرسخ الى العراق الا لشيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الامجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وحقير ولكل منهم خاصة وعامه فهلا افردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم إعالم انت قال لا قال أديب انت قال لا قال أفعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال هل وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غمرتك نفسك مثلك يقصد الفضل أبن يحيى وهو كما عرفتك عنه من الجلالة بای ذريعه اوسيله تقدم عليه قال والله يا امير المؤمنين ما قصدته الا لاحسانه المعروف وبكرمه وبيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لا تستحق بشعرك شيئا قال اتتفضل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

ألم تر ان الجود من عهد آدم تحدر حتى صار يمطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر واخذ الجائزة عليهما قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهموا فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار قال اقول

ملت جهابذ فضل وزن نائله وملّ كاتبه احصاء ما يهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه   يرى المـال منه بالمذلة والعنا

ولو ان رب المـال ابصر ماله   لصلى على مال الامير أذنا دنا

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان مسروقان ايضا قال اذن اقول

لو قيل للمعروف نادى اخا العلا   لنادى باعلى الصوت يافضل يافضل

ولو انفقت وجداك من رمل عالج   لاصبح من جدواك قد نفذ الرمل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل   وانى لذاك الصب والباذل الفضل

على ان لى مثلا كما ذكر الوري   ليس افضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنى غيرهما ما تقول قال اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد   فقامت به التقوى وقام به العدل

وقام به المعروف شرقا ومغربا   ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدنى بيتين على الكنية لا على الاسم فماذا تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى   ويا ملكا خد الملوك له نعل

اليك تسير الناس شرقا ومغربا   فرادى وأفواجا كانهم نحل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحننى بعد هذا الاقولن اربعة ابيات ما سبقني اليها عربى ولا أعجمى ولئن زادني بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه وأجعلها فى حزام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا أبالى فنكس الفضل راسه وقال اسمعنى الابيات الاربعة قال

ولائمة لامتك يا فضل فى الندى   فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر

اتنهين فضلا عن عطاياه للغنى   فمن ذا الذى ينهي السحاب عن القطر

كان نوال الفضل في كل بلدة   تحدر هـذا المزن فى مهمـة قفر

كان وفود النـاس في كل وجهة   الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فامسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع راسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله أيها الامير انك لهو قال نعم قال فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة آلاف درهم قال الفضل اذ دريت بنا وبنفسك يا اخا العرب تعطى عشرة آلاف درهم فى عشرة آلاف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته

في كبد قوسك واومات به الى الاعرابي فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استرجعت مالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه واوما الى الاعرابي وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندى وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا ملكت كفي منالا ولم انل فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله اخلاف الذى قد بذلته فلا مسعدى بخلي ولا متلفى بذلى
اروني بخيلا نال مجدا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعطي الاعرابى مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يااعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ماالرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابى بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد امر بقتل ابي نواس فقال اتقتلني شهوة لقتلي فقال بل انت مستحق للقتل قال فيم استحقيت القتل قال بقولك

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

فقال يا امير المؤمنين افتعلم انه سقاني وشربت فقال له امير المؤمنين اظن ذلك فقال يا امير المؤمنين افتقتلني على الظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ماتستحق به القتل فقال ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد يخبر انه فى جنة من مات اوفى نار

فقال له هل جاءنا احد قال لا قال اتقتلني على الصدق فقال له الرشيد اولست القائل

ياأحمد المرتجي فى كل نائبة كن سيدى نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين اوصار القول فعلا قال لا اعلم قال انقتلنى على مالم تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت فى مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فقال الرشيد خلوا عنه فقال

نحن الذى جاء الكتاب مخبرا بعفاف انفسنا وفسق الالسن

(وعن محمد بن نافع) قال رأيت ابا نواس فى النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانيء قال نعم قلت مافعل الله بك قال غفر لى بابيات قلتها فى علتي قبل موتي هي تحت الوسادة فسالت اهله فقلت هل قال اخى شعرا قالوا لا نعلم الا انه دعا بدواة

وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ماهو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك اعظم * ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذي يدعوا ويرجوا المجرم * مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل عفوك ثم اني مسلم (معن بن زائدة الشيباني) وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر وأقام مدة يريد الدخول فلم يتهيا له فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما راى الخشبة اخذها وقراها فاذا فيها هذا البيت مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي   فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشد البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل بمثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقول معن لا زكاة لماله   وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره   من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا   كأنك تعطيه الذي أنت آمله
هو البحر من أي النواحي اتيته   ولجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه   اراد انقباضا لم تطعه انامله
فلو ان ما في كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني أهب الاموال حتى أعف الاكرمين عن اللئام (وقيل) كان معن ابن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات

فقالت الاولى يركب في السهام نصول تبر   ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح   واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية ومحارب من فرط جود بنانه   عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد   كي لا يفوته التقارب والندى

وقالت الثالثة ومن جوده يرمي العداة باسهم   من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه   ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة (فمن) ذلك انه سعي رجل فى افساد دولة للمهدى وكان من الكوفة فعلم به المهدى فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر فى بغداد فبينما هو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا أبا الوليد اجرني اجارك الله فوقف فقال للرجل الذى تعلق به ماتريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين اهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه فاردفه وكر راجعاً الى داره فصاح الرجل معن حال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان أتى قصر المهدى فامر المهدى باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدى فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن اتجير علينا عدونا قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدى ونعم واشتد غضبه فقال معن يا امير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ولى مثل هذا ايام كثيرة فما رايتموني اهلا ان اجير رجلا واحدا استجار بى ودخل منزلى فسكت غضب المهدي وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان راى امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضا فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المومنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المومنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله فى ارضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهي (وكان) معن لا يغيظ احدا ولا احدا يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها وان لم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من نعل الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه فى وجهه وقال

انا والله لا ابدى سلاما على معن المسمى بالامير

فقال معن السلام لله ان سلمت رددت عليك وان لم تسلم ماعتبنا عليك (فقال الشاعر)

ولا انزل بلادا انت فيها ولو حزت الشام مع الثغور

فقال له البلاد لله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله فى عونك (فقال الشاعر)

وارحل عن بلادك الف شهر احد السير فى اعلى القفار

فقال له مصحوبا بالسلامة (فقال الشاعر)

اتذكر اذقميصك جلدشاة　　واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولاانكره(فقال الشاعر)

وتأوى كل مصطبة وسوء　　بلا عبد لديك ولاوزير

فقال لهمانسيت ذلك يااخا العرب (فقال الشاعر)

ونومك فى الشتاء بلارداء　　واكلك دائما خبز الشعير

فقال الحمد لله على كل حال (فقال الشاعر)

وفى يمناك عكاز قوى　　تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ماخفي عليك خبرها اذهي كعصي موسى(فقال الشاعر)

فسبحان الذى اعطاك ملكا　　وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك (فقال الشاعر)

فعجل ياابن ناقصة بمال　　فانى قدعزمت على المسير

فامر له بالف دينار (فقال الشاعر)

قليل ماامرت به فاني　　لاطمع منك بالشيء الكثير

فامرله بالف دينار اخرى «فقال الشاعر»

فثلث اذ ملكت الملك رزقا　　بلاعقل ولاجاه خطير

فامر له بثلثمائة دينار «فقال الشاعر»

ولاادب كسبت به المعانى　　ولا خلق ولارأى منير

فامرله باربعمائة دينار «فقال الشاعر»

فمنك الجودوالافضال حقاً　　وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الفى دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلمه وعدم انتقامه منه ثم قال فى نفسه مثل هذا لاينبغى ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له علي هجوه المائة بعير التى صار الرهان عليها فى نظير اغاظته فامر له بمائة بعير يدفعها فى نظير الرهان و بمائة أخرى لنفسه فاخذها وانصرف والله اعلم

(خلافة المامون بن الرشيد واسمه عبد الله)

(روى) بعض اهل الادب ان فتى من أهل الكوفة قدفاق أهل زمانه فى الادب والفصاحة فضاق صدره وعيل صبره فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه علي ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه اوملكه وتربص لذلك ان يرى وجها الي ان عزم المامون ان يشرب يوماهووصنوه المعتصم فامر المامون بالاستعداد ليوم سماه ليخلوفيه مع الجوارى فظهر خبرها بذلك وعرف الناس ذلك اليوم فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل فى ذلك على المامون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه

فاستعار من هذا قباء وجبة وزريه ومن اخر منطقة وخفا وسيفا ومن اخر برذونا ومن اخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير انى رسول امير المؤمنين واستاذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له ياسيدى ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد الم يقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومه لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الان ايها الامير فانه امرنى أن لا افارقك حتى اتيه بك فامر المعتصم باسراج مركوبه واسرع فى التاهب ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئا من كلام الفتى ويتامل للطافته وهياته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص المامون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته وأخذ يمشى بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر فى مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه واخبر المامون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المامون اخي قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغى ان يحضره احد من الناس الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى مالا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقل على سريره والفتى عالم بما وقع فى نفس المامون نهض قائما فقبل يد المامون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن اخباره وغائب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المامون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المامون واظهر الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المامون باحضار المائدة فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وأمر المامون باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما صوت يمر الا والفتى عارف به وبالغناء ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المامون حتى ملا عينه تزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله فمس الفتى بول ولم يجد للمانعة سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان امره وحاله اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المامون لاخيه المعتصم يا ابا اسحق من صاحبك هذا فوالله مارايت رجلا قط اكثر منه فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاءنى مبكرا برسالة امير المؤمنين فقال المامون سالتك بالله يا اخى اهو كذلك فقال أى والله الذى لا اله الا هو فقال المامون طفيلى

ورب الكعبة وغضب وامر الجوارى بالنهوض فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجوارى والى تغيير وجه المامون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه الى المعتصم وقال يا ابا اسحق كانى بك قد احدثت من نوع الزور والبهتان وما هكذا وعدتنى ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد من الناس مثل ما بليت من هذا الا انه دائما ابدا يعرضنى لمثل هذا واشباهه ويغرى بى ويوقعنى فى كل ورطة من ملاعبته التى لا تحتمل وتؤدى الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتى بهذا وامثاله حتى شك المامون فى امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سالتك بالله يا اخى بحياتى عليك الا ما اعلمتنى بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت اعرفه او رايته قط الا فى يومى هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهرى الطويل وفى موضع كذا وكذا وان هذا فعله معى ابدا فضحك المامون تعجبا وقال ادخل فدخل وامره بالجلوس ثم قال لك الامان ان تصدقنى فصدقه الحديث على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة الجوارى فى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المامون اخبرنى باعجب مالحق فى قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما فقال بينا انا راقد فى البيت مكتئب مفكر فى حصول الكد والقوت

وليس لى فى البيت شيء ألم به ولى من الجوع ما يدنى الى الموت
اذا بصوت بباب الدار اسمعه والاذن مصغية منى الى الصوت
ناديت من ذا الذى ارجوه لى فرجا نادى انا فرج زن لى كرا البيت

فضحك المامون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى بالكراء فوعدته بان يرجع الى مرة اخرى فمضى ومضيت على وجهى لا اعلم اين اتوجه فسالت كل من لقيته من صديق لى كنت استانس به فخطر على بالى بيتان من الشعر فى ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق يا غريب فكل حر يمر بحاله سعة وضيق
وكل ملمة انت فيها صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه وادفع بها فاقتك فوالله ماهى الا مواساة من قوت ورمت الى صدرى القرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقى وهذا ما حملنى على ما فعلت وانشا يقول

كم آت فعلا غير مستحسن جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكننى فى حالة اوجبت ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المامون امره واستحسنه وامرله بمائة الف درهم يصلح بها شانه والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه وآخر من خرج من عنده وأول داخل اليه وسمى طفيلي المعتصم وأنشد للمامون يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائى

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا حضر يوم سرور المامون لم يكن للمامون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التى اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من فضل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية ومامات حتي تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتي والجارية فى نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم «وسرق» شاب سرقة فاتي به الى المامون فامر له بقطع يده فتقدم لتقطع يده فانشد يقول

يدى ياامير المؤمنين اعيذها بعفوك ان تاتى نكالا يشينها

فلاخير فى الدنيا ولاراحة بها واذامال شمال فارقتها يمينهـــا

وكانت ام الشاب واقفة على راسه فبكت وقالت ياامير المؤمنين انه ولدى وواحدى ناشدتك الله الا رحمتني وهدات لوعتى وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المامون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت ياامير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التى تستغفر منها فرق له المامون وعفا عنه «وفى حياة الحيوان» قال رايت فى بعض المجامع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من الايام فراى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الي ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتبت هذه البيتين

ياقصر جمع فيك الشؤم واللؤم متى يعشش فى اركانك البوم

يوما يعشش فيك البوم من فرحى اكون اول ماينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال اجب امير المؤمنين فقال الرجل سالتك بالله لاتذهب بى اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فمثل بين يدى امير المؤمنين والله اعلم بما كتب فقال له المامون ويلك ماحملك على هذا فقال ياامير المؤمنين انه لايخفى عليك ماحواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والاواني والامتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمى واني ياامير المؤمنين قدمررت عليه الآن وانا فى غاية من الجوع والفاقة فتوقفت متفكرا فى امرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة اوخشبة اومسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ماعلم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذ لم يكن للمرء فى دولة وامرىء نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غيرانه يرجي سواهافهو يهوى انتقالها

فقال المامون ياغلام اعطه الف درهم ثم قال لى هى لك فى كل سنة مادام قصرنا عامرا باهله مسرورا بدولته وانشدوا فى معنى ذلك

اذا كنت فى امر فكن فيه محسنا فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة وقدملكوا اضعاف ماانت مالكه

و يقال ان المامون شرب يوما ومعه القاضى بن يحيي بن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المامون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتين شعرا وقال لمغنيته خذى العود وغنى على راسه فغنت وقالت

ناديته وهو حي لاحراك له مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى فقلت خذ قال كفى لا يوافقنى

فاستيقظ يحيي لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

ياسيدى وامير الناس كلهم قدجار فى حكمه من كان يسقينى
سقانى الراح لم يمزج سلافتها حتى بقيت سليب العقل لا الدين

قال) الواقدى كان ابراهيم بن المهدى ادعى لنفسه الخلافه بالرأى واقام مالكها سنة واحدي عشر شهرا واثني عشر يوما وله اخبار كثيرة (فماحكاه) قال لما دخل المامون الري فى طلبي انه علي الطلب وجعل لمن دل عليه وأتاه به مائة الف درهم فخفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صائفا وماادري اين توجه فمررت بزقاق لاينفذ فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثرى يعلموا بى فرايت فى صدر الزقاق عبدا اسود اقائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له أعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر نظيفه و بسط ومخدات جلد ثم انه اغلق على الباب ومضى فخفت ان يكون سمع الجعالة في حقى وانه عرفني ومضى ليدلهم على فبقيت مثل الحبة فى المقلاة قلقا ميتا من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلنى الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتى فشانك بما لم تقع عليه يدي وكان لى حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ماظننت ان اكلت مثلها فلما قضيت اربى قال لى هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم و يزيل الغم و يمهد للنفس الفرح قلت ما اكره ذلك رغبة فى مؤانسته فاتى بقطر مز جديد وحضر لى بقلا وفاكهة فى اوان جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لى جعلت فداك أن اقعد بناحية منك واتى بشراب فاشرب مسرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا

ثم دخل الي خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى ان اسالك ان تغنى ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان رايت ان تشرف عبدك بان تغنى لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم ابن المهدى خيفتنا بالامس الذى جعل المامون لمن يدل عليه مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت مروءته عندى وعلمت ان نخوته اجل مما بذل فتناولت العود فاصلحته وقدمر بخاطرى ذكر اهلي وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله   واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا   فالله رب العالمين قريب

فقال ياسيدى اجعل ماتغنيه مما اقتضيك به قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به   عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة   فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه وشربت ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن   واول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا   خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وقال غن لى

اذا الحادثات بلغن النهى   وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء   فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسه اقتضابه وانست به واستظرفته ثم قال اني رايت ياسيدى ان تاذن لى ان اغنى ماخطر ببالى وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروءتك فاخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا   فقالوا لنا مااقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم   سريعاً ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى   جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقوا مثل ما   نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب ما كان عندي من الفزع وسالته يغني فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا   فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى الموت سبة   اذا مارانه عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا   وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عنى كل ماكان من الفزع والجزع واستانست به واخذنى من الطرب مالا مزيد عليه وعاجلنى النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب

وجال فكري في هـذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه وارادته ان يسلبني عما اتافيه واشارته الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك واسالك ان تصرف مافي هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لاقيمة له عند اهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفاخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى بيده وقال والله ان راجعتني لانحرن نفسي فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته ان يكون منفقا على تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل مافعل بي اليوم الاول قال فقمت في اطيب عيش واهنئه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزقاق وصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابا وامرأة واقفة فيه فقلت ياسيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو أقمت سنة ماعليك باس واذا الباب يدق فخرجت وفتحت الباب واذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له مادهاك قال ان حديثي عجيب وامري غريب ظفرت بالفتى وقد افلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم ابن المهدي لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ماترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين لاخذت منه مائة الف دينار قال فاخرجت له خرقا ودرورا وفرشت له بعد كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت اظنك صاحب القصة قلت نعم فقالت اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة وقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فيتم عليك فانج بنفسك فسالتها امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت لبيت مولاة لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيرا فلم اشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجاله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عيانا وحملت مثل ماانا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي عليه فلما مثلت

بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك ولا رعاك فقلت يا أمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى وما تناولته يد الاقدار ربما مدله من اسباب الرجاء ماامن معه عادية الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك وانشدت اقول

ذنبي اليك عظيم وانت اعظم منه فخذ بحقك اولا فاصفح بحلمك عنه
ان اكن في فعالي من الكرام فكنه

قال فرفع رأسه فقلت مبتدرا

اتيت ذنبا عظيما وانت للعفو اهل فان عفوت فمن وان جزيت فعدل

قال فرق المامون واسترجع فرايت روائح الرحمة في شمائله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار الكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المامون لاحمد بن ابي خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المامون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي هموا قتلوا امين اخي فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المامون لا بأس عليك ياعم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان افوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها في صلب ادم للامام السابع ملئت قلوب الناس منك مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع ماان عصيتك والغواة تمدني اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اشبالا كافراخ القطا وحنين والدة بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك و ردت عليك مالك وضياعك فانشدت

رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
آمنت بك وقد خولتني نعما نعم الحياتين من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به والمال حتى أسل النعل من قدمي
وان جحدتك ما أوليت من نعم اني الى اللؤم اولى منك بالكرم

فقال المامون أن من الكلام كلاما كالدرر وهذا منه وامر لي بمال وخلع علي وقال ياعم أن أبا اسحق والعباس اشار بقتلك فقال انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما أنت أهله ودفعت ماخفت انما دفعت بما رجوت فقال المامون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المامون طويلا ثم رفع رأسه وقال ياعم اتدري لم سجدت قلت شكرا لله تعالى على مااوقعك عليه وملكك اياي في يدك تفعل بي ما تشاء فقال لي اخطات ولكن اشكر الله تعالى على ما الهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال وأعظم من عفوي

عنك انى لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثنى بما كان من امرك فشرحت له ما جرى لى مع الحجام والجندى وزوجته والموالاة التى اسلمتنى فامر المامون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال المامون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة فى المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وأخذ بتخليدها فى السجن ثم احضر الجندى وامرأته والحجام فسال الجندي عن السبب الذى حمله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انك اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس فى مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امراته وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امرأة اديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندى وما فيها خلع عليه واثبته برزقه فى الديوان وزيادة الف دينار فى كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم

(وعن محمد بن عبد الله التميمى) قال حدثنا احمد بن محمد الحريرى قال كان لحمنة بنت عبد الله الهاشمى من الاموال ما لا يسعه الديوان ولا تاكله النيران لكثرته وكانت أأدب نساء بنى هاشم وافصحهن لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المامون يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المامون جالسا فى ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله وكان قد تانق فى بنائه وكان فيه من صور البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه ستورا من الحرير الصينى وقد أقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير وقد لبسن الوشى بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتان عن يساره فقال يا حمنة هل كان لابيك او لبعلك او لاحد من الخلفاء مثل الايوان مع فرشه ومثل هؤلاء الجوارى مع تزينهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله به وعمره بك فلقد اوتيت ملكا عظيما تنستأهله لنرفك وشرفك فان اجبت خادمك حمنة اجلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله قط واسقتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال لها يا حمنة قد اجبتك الى ما سألتينى ولكن لا ينفعنى ولا يهنا لى ذلك الا بشهد من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لى مجلس الا به فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم ضربت يدها بجيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعتها الى يحيى وقالت يا يحيى أن الاجير لا يعمل حتى يستوفى اجرته وهذا اجرتك منى لكن مستحثا الى امير المؤمنين غدا عند الزوال فى المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمامون وغيره فلما كان من الغد جلس المامون فى مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت فى كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين والحاجة التى عرضت عليك الامس ففطن المامون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك ودعا بحمارين مصريين بغاشيتين وركباها حتى اتيا دار حمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت

في بستان قد حمل علي اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت اربعة اسطر منقوشة بالدر رصنوف الجوهر وهي

ماسرني ان فؤآدي ولا ان لساني بالمدام حلا وان لي ملك بني هاشم
يحيى لي اول اولا ان لم اشاهدك ايامالكي تاتي الى بيتي كـذا مقبلا
ياسائلي روحي بلاعلة انت المعافى وانا المبتلى

فقال المامون يا يحيى ماملك احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمني محفور ونقوش باللالىء واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الريش وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في اواني الذهب والفضة وهي تفوح منه لا يدرى ماهي من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا الاسحر ثم دعت لهما بمائدتين من الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبه فقال المامون ماطعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا أيديهما ثم امرت بشراب فقدمت اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعه الصافية والبلور فيها شراب قد اتت عليه الاعوام والايام ووضعت بين أيديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المامون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما ثياب الوشي الكوفي المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيديه وتيجان الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفي حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح من انواع الاغاني وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة بما نري فيها من غرائب الطيب والجوهر فقال يحيى وقد بقى لنا يا امير المؤمنين شرطا آخر فقال وما هو قال الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمنة ما فعل الصيد فقالت قوما اليه فقام المامون ويحيى حتى دخل بستانا لم يريا مثله وقد كانت زينت البستان باحسن ماتقدر عليه واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخت والقمري والهزاز والطواويس فكانت الاطيار تغني على رؤس الاشجار وتغرد بالسرو الاجهار وكانت قد زينت مائة جارية نواهدا بكار بطرر وشعور وخدود ومباسم ساطعات الانوار تري كل واحدة منهن أبهى من صاحبتها واحسن وعليهن من الوان الثياب مايعجز عنه الوصف وفي وسطهن مناطق الذهب الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رايتن المامون ويحيى تهادين ما بين الاشجار فلما دخل المامون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور على المامون ثم قال يحيى ما رأيك في هذا الصيد يا امير المؤمنين فقال المامون لو كان لنا كلب لاصطدناهؤلاء فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المامون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت حمنة سالتك بحق اجدادك الاماخليت عن الجواري لا البخل ابخل بهن عليك وقد فهمت المعنى فيه وقد كانت حمنة تغار على المامون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك والصيد

اذن انت محل فقال يحيى لو كان لى كلب لاصطدت من هولاء فقال المامون انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض وعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة فقالت حمنة يا يحيى لك الحمـ ـة ولا غيرة لى عليك واغار اغار على المامون لحاجتى اليه فقال يحيى والله يا امير المومنين لقد رأيت الهوى الغالب فى حماليق عينيها ولا تم لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رايت ذلك فقال المامون انا برىء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتصف من جدى العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها ثم قال يا يحيى وخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المامون الف الف دينار وأقطعها مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمنة الله سرورا بما ظفرت به من تزويج المامون اياها وأمرت ليحيى بعشرة الف دينار ورجع المامون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى وحكى ان المامون خرج يوما على زبيدة ام الامين فرآها تحرك شفتها بشىء لا يفهمه فقال لها يا اماه اندعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه فقالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفنى امير المومنين فالح عليها وقال لا بد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله اللجاجة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المومنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبنى فامرنى ان اتجرد من أثوابي واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابي وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ ويطا اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق فابيت وقلت والله لتطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ار جارية اقبح ولا أقذر ولا اشوه خلقة من امك مراحل فامرته ان يطاها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلبة ملكه فولى المامون وهو يقول قاتل الله اللجاجة اي التى يحبها عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وروى) عن عامر القهروى عن اشياخه قال امر المامون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فمر بهم طفيلي فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لاشك انها نزهة فلم يكن الا يسير وقد قيد القوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد وادخلوا على المامون فاستدعى بهم باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله ويقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلي وفرغت العشرة فقال المامون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير المومنين غير انا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا امير المومنين امرأته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المامون وقال او قد يلغ من شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل قد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن يودب

حتى لا يعود لمثلها وكان ابراهيم بن المهدي حاضرا فقال يا امير المومنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى في التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المومنين خرجت متنكرا يوما انظر الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بي المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المومنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام لذلك الكف فاخذت فى عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال الرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحاب تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان فقال لى هذان ندماؤه فقلت له ما اسمهما وما كنيتهما فقال لى فلان الفلاني وفلان الفلاني فحركت وراءهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداء كما استبطا كما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك فى انى معهما فرحب بي واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جيء بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جيء بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورأيت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الي ان شربنا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت عن غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جس فاذا هي حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فالم كفها ... فمن ضم كفى فى اناملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بلبالى فاطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت

أشرت اليها هل عرفت مودتي ... فردت بطرف العين انى على العهد
فجادت على الاظهار عمدا بسرها ... وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابنى من الطرب الذى لم املك نفسى معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا * واياك لا تلهو ولا تتكلم * سوى اعين تبدى سرائر انفس وتقطيع انفاس على النار تضرم * اشارة افواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حسدى لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقى عليك ياجارية شيء فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون الغناء فندمت على ما كان منى ورايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت

في نفسي فاتني جميع ما املت واحببت ان تلافى قضيتي فقلت انم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ماردت اصلاحه ثم قلت

ماللمنازل لاتجيب حزينا اصممن ام قدم بالبلاء بلينا

فلما تممت شعري حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدي تقبلها وتقول المعذرة اليك ياسيدى والله ماعلمت مكانك ولاسمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامى وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم وقلت

هذا محبك مطوى على كمده وجدا وادمعه تجري على جسده

له يد تسال الرحمن راحته مما به واليد الاخرى على كبدة

يامن يرى كلفا فى حبه دنفا كانت منيتـه في عينـه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذى كنا فيه ليس بشيء وشرب القوم فلما جاءهم البسط وأخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله ياسيدى ذهب مامضي من عمرى باطلا حيث لم أعرفك قبل يومى هذا فبالله يامولاى من انت فجعلت اردعليه وهو يقول ويقسم على حتي اعلمته من انا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجيب ان تكون هذه المكارم الالمثلك وقد اصابنى من الدهر نعم لااقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة أم منام أقسمت انى لاازال هذه الليلة قائما الي أن تأذن لى فاني احقر من ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الاخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس اخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يافلانة وهن يخرجن واحدة واحدة وانا لا اري صاحبة الكف والمعصم الى ان اتت اربعون امراة فقال والله مابقى الا اختى وها انا اخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرايت يدها ومعصمها فاذاهى التى رأيتها فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت قبلت الزواج ثم دفع الالف دينار التى كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم قال ياسيدى امهد لك بعض البيوت لتنام مع اهلك فاعجبنى ماكان من كرمه واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى فوحقك ياامير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ماضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك ياامير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله

دره ما اكرمه والله ماسمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلي وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وأدبه فصيره من جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

(ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هرون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ماكان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام (قيل) انه اصبح ذات يوم وكان برده شديداً وثلجه عنيداً فلم يقدر احد على اخراج يده وامساك قوسه فاوتر المعتصم في ذلك اليوم اربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن أوس الطائي يمتدحه

ان جس عوداً رايت الخيل راقصة ... كانها من سماع هزها نغم

اوحركت يده اليمنى له وترا ... على اعاديه غنى القوم والرخم

كان يقول بخلق القران وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول ذلك فلم يقل وله معه كلام طويل فانظره في حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ماروى عن احمد بن داود القاضي انه قال جيء بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر اين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما اذا أذن امير المؤمنين في الكلام فاني اقول (الحمد لله الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل وانار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو أشبه بك واليق ثم أنشد يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث لا اتلفت

واكبر ظني انك اليوم قاتلي ... وأى امرىء عما قضى الله يفلت

ومن ذا الذى يأتي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وماجزعي من ان اموت وانني ... لاعلم ان الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت

كأني اراهم حين انعى اليهم ... وقد لطموا حمر الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا في سرور نعمة ... اذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لا ابعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله ان يسبق السيف العذل قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله واعطاه خمسين الف دينار (وذكر) صاحب تاريخ بغداد عن مخارق

المغني قال تطفلت تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت له يا أمير المؤمنين ان رأيت ان اخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه امير المؤمنين قال نعم فامر البوابين ان يتركوني فخرجت امشي في الرصافة واذا بجارية كان الشمس تشرق من جبينها فتبعتها ورايت معها زنبيلا فوقفت على فاكهاني واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتني فقالت يا ابن الفاعلة الى أين قلت خلفك ياسيدتي فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك فتاخرت ومشيت ومشت امامي ثم التفتت فرأتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبير فدخلت فيها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم ألبث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما وصلا الى الباب أذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد دعاني وجيء بالطعام فاكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت وشربوا وطربوا وهي تلاحظني وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان قلت يا جارية شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال فاستدعيت بدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا الي وقبلوا رأسي قال وكان مخارق من أحسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت ياسيدي فقلت مخارق فقالوا وماسبب مجيئك قلت طفيلي اصلح الله شأنكم وأخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقه اما تعلمون اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين ألف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هي له فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة الاف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يامولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني فاحلف عليها لتعيده حتي وصلت الى أمير المؤمنين فقيل لي انه انتبه فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا أمير المؤمنين لا تعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى «حكاية غريبة عن محلها» قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام الى قرى الطعام فخرجت معه الى البرية فاتوا بباطية باذنين وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يا كل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين عليه

كانك أثلة في أرض هش اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين مبحلقة وقال لي الكلام انتى والجواب ذكروانت

كانك بذرة في أست كبش مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر اوترويه فقال كيف لا أقول الشعر وانا أمه وابوه فقلت انا عندى قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ماعندك فغطست فى بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومه فقلت

قوم بنجد قد عهدناهم سقاهم الله من النو

قلت اتدرى النوماذا فقال نو تلالا فى دجى ليلة حالكة مظلمة لو

فقلت له لوماذا فقال لوسار فيها فارس لا يثنى على بساط الارض منطو

فقلت له منطوماذا فقال منطوى الكشح هضيم الحشا كالباز ينقض من الجو معلو

فقلت له الجوماذا فقال جو السماء والريح تعلو به اشم ريح الارض فاعلو

فقلت فاعلوماذا فقال فاعلولما عيل من صبره فصار نحو القوم ينعو

فقلت ينعو ماذا فقال ينعوا رجالا للفتي شرعت كفيت مالاقوا وما يلقو

«قال» فعلمت انه لاشيء بعد الفناء ولكن اردت ان أثقل عليه فقلت ويلقوماذا فقال

ان كنت ماتفهم ماقلته فانت عندى رجل بو

فقلت له البوماذا فقال البوسلخ قدحشي جلده بالف قرنان تقول أو

فقلت او ماذا فقال اواضرب الرأس بصوانة تقول فى ضربتها قو

فخفت ان اقول قوماذا فيضربني ويكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يابي الكرامة الالئيم فقلت لزوجتي اصنعى لى دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا وزجتي وابناى وابنتاى وقلت له فرق يا بدوى فقال الرأس للرأس واعطاني الرأس وقال الولدان جناحان لهما جناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة لها العجز وانا زائر لى الزور وأكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا نتحدث فلما أصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لى خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يابدوي فقال تريد شفعا اووترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك دجاجة وابناك دجاجة وابنتاك دجاجة وانا دجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا قلت نعم فقال انت وولداك دجاجة وزوجتك وابنتاها دجاجة وانا ثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة فى الشعر ومرة فى الدجاج ثم انصرف انتهى

(خلافة امير المؤمنين الواثق بالله)

قال ابنه محمد الذى يقال له المهتدي بالله كان ابى الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا فى ذلك المجلس فبينما نحن عنده اذا اتى بشيخ مقيد فقال ائذ نوا لابي عبد الله يعني ابن ابى داود واصحابه وادخل الشيخ مقيدا فقال السلام عليك ياامير المؤمنين فقال لا سلم الله

عليك فقال الشيخ ياامير المؤمنين بئسما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها وانت والله ماحييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابي داود ياامير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ماتقول في القرا ن فقال الشيخ لم تسالني ولي السؤال اساله فقال الامير سله فقال الشيخ لابي داود ماتقول في القران فقال مخلوق فقال الشيخ هذاشيء علمه النبي وابي بكروعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون امشيء لايعلمونه فقال لايعلمونه فقال سبحان الله شيء لا يعلمه النبي ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلني فقال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ماتقول في القرآن قال مخلوق قال هذاشي علمه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكروعثمان وعلي رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعو الناس اليه الى افلا وسعك ماوسعهم قال ثم قام ابي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يقول هذاشيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهى (فائدة) روى الدارقطني وشيخه الحاكم ابن عدى عن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد اصطاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة مختفلين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال على من هؤلاء قالوا على الذي زعم انه نبي فاتاه فقال يا محمد ما اشتملت الناس على ذي لهجة اكذب منك ولولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس اجمعين فقال عمر يارسول الله دعني اقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اماعلمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى ولا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم فقال لبيك وسعديك يارسول الله رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا ياضب قال انت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان الله حقا والله ولقد اتيتك وما على وجه الارض ابغض مني اليك والله لانت الساعة احب الى من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي و سري وعلانيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله أحد فقال يارسول الله ماسمعت في البسيط ولا في

الرجز احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا من كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانك قرات القرآن كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير انتهي باختصار من حياة الحيوان الكبرى «ووقف» رجل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا أعرفك قبل اليوم قال ابن جدك آدم فقال ياغلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارايت لو قسمت المال بين اخوتك اولادجدي يكاد ينوبك حبة فقال لله درك ما ازكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

«خلافة المتوكل على الله تعالى»

«حكى» ان ابو القاسم على بن محمد الذهبي عن ابي عبد الله النحوى قال لما حج محمد ابن عبدالله بن طاهر رأي فى الطواف جارية فى نهاية الحسن فسال عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد روها الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفي امرها وما يجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحبس عندها ما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامرة معها مستور ففطن به سويد بن ابى العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سوى مايكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم امابعد ياامير المؤمنين فان محمد بن عبدالله اشترى جارية بمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويقضي زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر فى امور المسلمين وعن التوقيع فى قصص المظلومين ولا يامن اميرالمؤمنين ان تخرب له بغداد مع كثرة مافيها من الغوغاء فيتعب امير المؤمنين فى اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك الى اميرالمؤمنين ايده الله وهواعلى رايا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته قال فلما قرا المتوكل الكتاب رفع راسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه بغتة من غير اذن وانظر الى مايفعل ثم خذمنه جاريته فلانة وانت بها من غير تاخير فمضي نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها فى ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانقطع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا مادخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذى اقدمك قال امير المؤمنين امرني ان آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى مانحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر الخادم بكرسي فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلي لا يجالس مع مثلك ثم محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني لا تزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لعذبين رماهما ... بشماتة العذال والحساد

اما الرحيل فحين جد تحملت   مهج النفوس به من الاجساد
من لم يبت والبين يصدع شمله   لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما لما عاين ماحل بهما فقال ايها الامير ان اردت ان امضي وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلقه مثل ابى سويد كيف يمكنه التعلل ولكن اتفق بنا فقالت الجارية والله ياسيدى لاملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي فقال لها محمد لوكان غير امير المؤمنين لكان في ذلك اوسع حيلة ولقد وددت ان ياخذمني امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي ويبقيك على ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ماشهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع المعروف تقى مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها الى امير المؤمنين وقل ماشئت مما يليق بمروءتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتي دخل على المتوكل فلما رآه قال ماوراءك يا نرجس قال ورائي يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالها ولم يخف شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال ياامير المؤمنين والذى خفى اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يانرجس ارجع بها الساعة اليه من وقتك هذا وادركه قبل ان تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امر ابى سويد االيه يصنع به مايشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع معه ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجوارى يروحنه بالمراوح فقال بشريا محمد امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غيران يوقع نظره عليها وقد حكمك في ابى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى ابى سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قرأه قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركنا انت شيدته وانت صنيعة اصطنعتها الى مثلي فمثلي من هفا ومثلك من عفا ثم قام فقبل البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفر ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لي امير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامر ان يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كان عليه في اطيب عيش واحسن حال متظاهرين بذلك غير مستترين

«خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله احمد»

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعدان اخلقته الاتراك واذلته وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بابى العباس انشىء ملككم كذا بابى العباس ايضا يجدد

«ولقد اتفق» فى ايامه على ماحكى امر فظيع كشفه الله بهيبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم مافى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يتخيل لهم انه يعلم مافى نفس الانسان من الضمير فاتفق ان احد وزرائه واكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فراي يوما من الايام فى داره من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فولع بها فسال عنها فاخبر انها بنت احد التجار فارسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار ليس ازوجها الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وانت ان ظلمتها لم قدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه فى ذلك بكل امر وتوسط اليه بالاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكا الى احد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فكيف ذلك والله لوعلمت انى اتفق عليها مائة الف مثقال او اكثر وتاتينى بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا واغلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ماترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يابى هل هذا الاعضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اذا علم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخير فاخذ الشهود كل واحد منهم مائة وشهدوا ان اباها زوجها على صداق مبلغه كذا ورفعوه فى الصداق الى غاية ماترفع اليه صدقات الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا وابا فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضى وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد ناكرنى وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته وآخذها فامر القاضى باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدى القاضى والرجل على انكاره تماديا فامر القاضى باحضار الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب او كره وامر بحمل المال اليه فلما وصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة

من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون فى جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل فى جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان ذلك الوقت الذى كانت عادة امير المؤمنين المعتصم يقف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض وجعل يحث التراب على رأسه ويستغيث فساله عن شانه فقص عليه القصة فارسل المعتصم فى ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه فى القول فحملته هيبته وقلة اقدامه على الكذب عليه ان يصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان يعذره فى ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ماهو فوق قيمة قدرها وامر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الذلة اذ قد ارادوا احياء نفس ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدى القاضى نقدا لا يكون الا فى صدقات الملوك وقد جعل لها من الصدقات ماهو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها أو باكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر أمر بان يصلب كل شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السالخ ويضرب بالمزارق حتى يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم أمر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدى نمور كانت عنده فلما لعقت تلك النمور ذلك الدم امر الرجل ابا البنت ان ياخذ ابنته وياخذ كل ماذكروا لها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار ودور ومال ثم مات المعتصم وولى ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك والله اعلم (ويحكى) ان بعض الملوك ارسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر أهلها ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ماجئت له وانا راغب اليك بكتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق العدل فان انت فعلت ذلك فلك ماتشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من امرك فى الملا ما يوجب قتلك اما حدا واما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كامس الماضى فلم لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك اما بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته وارضى بعضهم بعضا وجعل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منه منزلة الاولاد واذهب ما بينهم من الاحقاد واراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الاخرى اغنى القاصد وارضى الوارد فجميع اهل عمله داعون للملك يودون النظر الى الكريم وجهه والسلام (فلما) وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن عندى بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير

اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله اخذ بالحزم عاملا بالعزم اى انه خائف منى لما
اعتمده فى الولاية واما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته فمعناه انه لم يخص
احد بظلمه بل الجميع سواء وقوله وارضى بعضهم بعضا اى ذهبت احقادهم لان
الشدائد تذهب الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه اخذ اموالهم وراى انها له اخذا
من قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله وارحهم من السعى فى الدنيا معناه انه
اخذ اموالهم ولم يترك ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم للعمل فى الاخرى
معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى القاصد وارضى الوارد فانه يعنى
نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله فجميع اهل عمله داعون لنا معناه
ان يبصرنا الله بأمرهم و نطلع على ما فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا
ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس
منه ورد عليه ما كان ظلمهم فيه واقتص منه وقابله على فعله

« وهذه القصيدة الزينبية »

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب نشرت ذوائبها التي تزهو بها
سودا وراسك كالثغامة اشيب واستنفرت لما راتك وطالما كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه آل ببلقعة وبرق خلب فدع الصبا فلقد عداك زمانه
وازهد فعمرك مر منه الاطيب ذهب الشباب فما له من عودة واتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب واذكر مناقشة الحساب فانه
لا بد يحصى ما جنيت ويكتب لم ينسه الملكان حين نسيته بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب وغرور دنياك التي تسعى لها
دار حقيقتها متاع يذهب والليل فاعلم والنهار كلاهما انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته حقا يقينا بعد موتك ينهب تباً لدار لا يدوم نعيمها
ومشيدها عما قليل يخرب فاسمع هديت نصيحة اولاكها بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا وراى الامور بما تؤب وتعقب لا تامن الدهر الخؤن فانه
ما زال قدما للرجال يؤدب وعواقب الايام فى لذاتها غصص يذل لها الاعز الانجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ان التقى هو البهى الاهيب واعمل بطاعته تنل منه الرضا
ان المطيع له لديه مقرب واقنع ففى بعض القناعة راحة والياس عما فات فهو المطلب
فاذا اطمعت كسيت توب مذلة فلقد كسى ثوب المذلة اشعب وتوق من غدر النساء خيانة
فجميعهن مكايد لك تنصب لا تأمن الانثى حياتك انها كالافعوان يراع منه الانيب
لا تامن الانثى زمانك كله يوما ولو حلفت يمينا تكذب تغرى بلين حديثها وكلامها
واذا سطت فهى الصقيل الاشطب وابدأ عدوك بالتحية ولتكن منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما فالليث يبدو نابه اذ يغضب ان العدو وان تقادم عهده

فالحقد باق في الصدور مغيب　واذا الصديق لقيته متملقا　فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرئ متلون　حلو اللسان وقلبه يتلهب　يلقاك يحلف انه بك واثق
واذا توارى عنك فهو العقرب. يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة　فالصفح عنهم والتجاوز اصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا　ان القرين الى المقارن ينسب
ان الغني من الرجال مكرم　وتراه يرجى مالديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه　ويقام عند سلامه ويقرب　والفقر شين للرجال فانه
حقا يهون به الشريف الانسب　واخفض جناحك للاقارب كلهم
بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا　وذر الكذوب فلا يكن لك صاحبا
ان الكذوب لبئس خل يصحب. وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن. ثرثارة في كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه　فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به　ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه　نشرته السنة تزيد وتكذب　لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب. ويظل ملهوفا يروم تحيلا. والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس ياتي رزقه　رغدا ويحرم كيس ويخيب　وارع الامانة والخيانة فاجتنب
واعدل ولا تظلم يطيب المكسب. واذا اصابك نكبة فاصبر لها. من ذا رايت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة　او نالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن　يرجوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل　ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه. يعدي كما يعدي السليم الاجرب　واحذر من المظلوم سهما صائبا
واعلم بان دعاءه لا يحجب　واذا رايت الرزق عز ببلدة　وخشيت فيها ان يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا. طولا وعرضا شرقها والمغرب ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي
فالنصح اغلى ما يباع ويوهب (انتهى من حياة الحيوان) وما احسن قول صالح بن عبد القدوس
المرء يجمع والزمان يفرق　ويظل يرقع والخطوب تمزق　ولان يعادى عاقلا خيرا له
من ان يكون له صديق احمق　فاربا بنفسك ان تصادق احمقا　ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما　يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم　من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه　فيرى ويعرف مايقول وينطق　لا الفينك ثاويا في غربة
ان الغريب بكل سهم يرشق　ما الناس الا عاملا فعامل　قدمات من عطش واخر يغرق
والناس في طلب المعاش وانما　بالجد يرزق منهم من يرزق　لو يرزقون الناس حسب عقولهم
الفيت اكثر من ترى يتصدق　لكنه فضل المليك عليهم　هذا عليه موسع ومضيق

واذا الجنازة والعروس تلاقيا ورايت دمع نوائح يترقرق سكت الذى تبع العروس مبهتا
ورايت من تبع الجنازة ينطق واذا امرء لسعته افعى مرة تركته حين يجر حبلا يفرق
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

وذكر بن الجوزى فى الاذكياء وغيره

ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن ابن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه

يا ضربة من تقى ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اكرم بقوم بطون الارض قبرهم لم يخلصوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى اباالطيب البرى رحمه الله تعالى هذه الابيات فقال مجيبا له

انى لابرا مما انت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا انى لاذكره يوما فالعنه
دينا والعن عمران بن حطانا عليك ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتمو من كلاب النار جاءنا نص الشريعة برهانا وبهتانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ماروى عن نافع بن ابي عمر رضى الله عنه قال جاؤا برجل الى النبي صلي الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتي لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ياتنى بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت انفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني و بينك قال لتردن على الصراط ووجهك اضوا من القمر ليلة البدر اه

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضى بالله)

زيادة المرء فى دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران وكل وجدان حظ لا ثبات له
فان معناه فى التحقيق فقدان ياعامر الخراب الدهر مجتهدا بالله هل لخراب الدهر عمران
وياحريصا على الاموال يجمعها انسيت ان سرور المال احزان. زاح الفؤاد عن الدنيا وزخرفها
فصفوها كدر والوصل هجران واوع سمعك امثالا افضلها كما يفصل ياقوت ومرجان

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي امل يرجو رضاك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة اليه والمال للانسان فتان

من كان للخير منا فليس له عند الخليفه اخدان واخوان لا تخدشن بمطل وجه عارفة
فالبر يخدشة مطل وليان ياخادم الجسم كي تسعى لخدمته اطلب الربح لما فيه خسران

اقبل على النفس واستكمل فضائلها. فانت بالنفس لا بالجسم انسان. من يتق الله يحمد في عواقبه
و يكفيه شر من عزوا ومن هانوا حسب الفتى عقله خلا يعاشره اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن قد استوت منه اسرار واعلان. فللتدابير فرسان اذا ركضوا
فيها ابروا كما للحرب فرسان وللامور مواقيت مقدرة وكل امر له حد وميزان
من رافق الرفق في كل الحوادث لم يندم عليه ولم يذممه انسان. ولا تكن عجلا في الامر تطلبه
فليس يحمد قبل النضج بحران وذو القناعة راض في معيشته وصاحب الحرص ان اثرى غضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق ففيه للحران حققت غنيان هما رضيعا لبان حكمة وتقى
وساكنا وطن مال وطغيان. من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى اغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له على حقيقة طبع الدهر برهان. من عاشر الناس لاقى منهم نصبا
لان طبعهم بغي وعدوان. ومن يفتش على الاحوان مجتهدا. فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع ابان من استنام الى الاشرار نام وفي
قميصه منهم صل وثعبان. من سالم الناس يسلم من غوائلهم. وعاش وهو قرير العين خذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا. وما على نفسه للحرص سلطان وان اساء لك مسيء فليكن لك في
عروض زلته صفح وغفران اذا نبا بكريم موطن فله وراءه في بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا من سره زمن ساءته ازمان ياظالما فرحا بالعز ساعده
ان كنت في سنة فالدهر يقظان يا ايها العالم المرضي سيرته ابشر فانت بغير الماء ريان
و يا اخا الجهل لو اصبحت في لجج فانت ما بينها الا شك ظمآن دع التكاسل في الخيرات تطلبها
فليس يسعد بالخيرات كسلان صن جرو حك لا تهتك غلالتك فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم غرائب لست تحصيها والوان ما كل ماء كصداء لوارده
نعم ولا كل نبت فهو سعدان من استعان بغير الله في طلب فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما. فانه الركن ان خانتك اركان. لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضا
وان اظلته اوراق وافنان سبحان من غير مال باقل حصر و باقل من ثراء المال سبحان
والناس اخوان من والته دولته وهم عليه اذا عادته اعوان. يارافلا في الشباب الرحب منتشيا
من كاسه هل اصاب الرشد نشوان. لا تغترر بشباب ناعم خضل. فكم تقدم قبل الشيب شبان

ويا اخا الشيب لو نصحت نفسك لم يكن لمثلك في الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال شيبك يستهوي به شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكل كسر فان الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران احسن اذا كان امكان ومقدرة
فلا يدوم على الانسان امكان فالروض يزدان بانوار فاغمة والحر بالعدل والاحسان يزدان
خذها سرائر امثال مهذبة فيها لمن يبتغي التبيان تبيان ماضر حسانها والطبع صائغها

ان لم يصغها قريع الشعر حسان وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا فانها لنجاة العبد عنوان فهو الذى شملت للخلق انعمه
وعمهم منه فى الدارين احسان جبينه قمر قد زانه خفر وثغره درر غر ومرجان
والبدر يخجل من انوار طلعته والشمس من حسنه الوضاح تزدان
ومنذ اتى ابصرت عمى القلوب به سبل الهدى ووعت للحق اذان
به توسلنا فى محو زلتنا لربنا انه ذو الجود منان يارب صل عليه ماهمى مطر
فاينعت منه اوراق واغصان وابعث عليه سلاما زاكيا عطرا والال والصحب لا تفنيه ازمان

ومن اللطائف ماحكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازنى جاء اليه يهودى وساله ان يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت سبحان الله تردمائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم ياابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولم ارد ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فمامضت الايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر علم ندماءه فغنت جارية فى المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ماحفظته من معلمى الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة فمن قائل الصواب معه ومن قائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازنى وهو اليوم واحد عصره فى هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالى اباعثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد فى اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز فى رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجلا منصوب به والمعنى ان اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم الواثق كلام ابى عثمان وعلم ان الحق ماقالته واعجب به واقطع الرجل الذى انكر على الجارية ثم امر الواثق لابى عثمان المازنى بالف دينار واتحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له الجارية جملة اخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاء المبرد فقال له ابو عثمان كيف رايت ياابا العباس تركت لله مائة فعوضنى الفا فقال المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله الاسم الاعظم فجاءنى جبريل به مختوما وهو اللهم انى اسالك بالاسم المخزون المكنون الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم قالت عائشة بابى وامى علمنيه فقال ياعائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء اه *فائدة* كان ابو عبدالله بن يحيى الصنيعى من اصحاب الشافعى وكان اماما صالحا عالما من اهل اليمن من اقران صاحب البيان من تصنيفه احترازات المهذب

والتعريف فى الفقه روى ان اناسا ضربوه بالسيف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرأ*ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .وحفظناها من كل شيطان رجيم .وحفظا من كل شيطان مارد. وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم .ان كل نفس لما عليها حافظ. ان بطش ربك لشديد الى اخر السورة وينبغي ان يزاد فيها*ان ربي على كل شيء حفيظ*ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرأيت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشيء فلما دنوا منه تفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الايات المتقدمة اه(فائدة)قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس فخرج سريعا فثوب الصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا فقال اما اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة الاني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتي حتى استثقلت فاذا انا بربي تعالى في احسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك يارب قال فيم يختصم الملأ الاعلى قلت ربي لا ادرى قال تعالى فى الكفارات والدرجات وفى رواية قلت فى الكفارات والدرجات قال فما هي قلت مشي الاقدام والجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوجود على المكروهات ثم قال فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم انى اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمني واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني الى حبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها *قال*ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان فى حرف النون وقال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو اخفى فيكم من دبيب النمل وسادلك على شيء اذا فعلته اذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم انى أعوذ بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات اه«فائدة»اذا علقمت عين الهدهد علي صاحب النسيان ذكر ما نسيه ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين اذهبه وروى احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يشرب قائما فقال له ا يسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال فقد شرب معك الشيطان(وروى)الطبراني باسناد صحيح عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر باعرابي وهو يدعو فى صلاته يقول يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه

الليل واشرق عليه النهار ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض ارضا ولا بحر الا و يعلم ما في قعره ولا جبل الا و يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير عمري اخره وخير عملي خواتيمه وخير ايامي ايام لقائك فوكل النبي صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلا فقال اذا صلى فاتني به فلما صلي اتاه به وقد كان اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابي اوهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابي قال من بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التي بيننا و بينك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عزوجل (حكاية فى القطا) يقال نزل عمر بن امامة على قوم من مراد فطرقهم ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فرأتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم (ولو ترك القطا ليلا لناما) فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجؤ الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل (وذكر بعض اهل التواريخ) ان ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفرداً فاخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امراة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المراة عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت له انظر فى هذا الكتاب حتى اصلح من امرى ما تحب واعود فاخذ الملك الكتاب ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعد الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة واعطاها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر فتحير فى نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدى الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مده ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضى وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لى بالاسد ففهم الملك القصة فقال يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه (وما جاء فى الذكاء والفهم) ما حكي عن المامون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه في الايقاع به وكان قد حضره فى ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه بسم الله

الرحمن الرحيم ياموسى فلما فضة ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم
معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له ياسيدى انى افهم معنى هذا فقال وما هو
قالت انه اراد قوله تعالى ياموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور
الى المامون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمامون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته وفى
تاريخ بغداد ووفيات الاعيان ان اباحنيفة كان له جار اسكافى يعمل نهاره فاذا رجع
الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى

اضاعونى واى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى ياخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل
ليلة وكان ابو حنيفة يصلى الليل كله ففقد ابو احنيفة صوته فسال عنه فقيل اخذه
العسس منذ ليال فصلى ابو حنيفه الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الى دار الامير
فاستاذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطا البساط ففعل
به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ماحاجتك قال اشفع فى جارى فقال الامير
اطلقوه وكل من اخذ تلك الليلة فخلوهم ايضا وذهبوا وركب ابو حنيفة بغلته وخرج
والاسكافى يمشى وراءه فقال له ابو حنيفة هل اضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك
الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعدل الى ماكان يفعل (وقال) الشافعى
قلت لمالك هل رايت ابا حنيفه قال نعم رجل لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا
لقام بحجته *فائدة* اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله
الا هو الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون
مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون «فائدة اخرى
للصداع) ذكر فى حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له
صداع فلم يركب فى الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين مالاميركم لم يركب فقالوا اعرض له
صداع فاخرجوا البرنسا وقالوا البسوه له يزل عنده مايجد فلبسه فشفى ففتشوا فيه فلم
يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الايات «بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم
الله الرحمن الرحيم الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص
بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم واذا سالك عبادى عنى فانى قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعانى بسم الله الرحمن الرحيم الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم)
فقال المسلمون من اين لكم هذا انما نزل هذا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا
هذا محفوظ فى حجر فى كنيستنا قبل ان يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى *وعن* ابى
الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى

مات فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب فقال رجل من القوم انا يارسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذوالجلال والاكرام اكفناهذا الكلب بماشئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم الذى اذا دعا به اجاب واذا سئل به اعطى وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند احمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وان الرجل الداعى سعد بن ابى وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه ايضا) تكتب هؤلا والكلمات وتجعل فى انبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم على معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء. اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الاهو آخذ بنا صيتها ان ربى على صراط مستقيم. اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافي اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر او لبس كفره السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كافرا وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافر بكونه حسد آدم بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضي ويظهر ذلك من قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا اوجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر خليلي ان قالت بثينة ماله . اتانا الى وعد فقولا لها لها

اتى وهو مشغول بعظم الذي به ... ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحي ... اذا برزت لم يبق يوما بها بها

لها مقلة كحلا وخد مورد ... كان اباها الظبي او امها مها

دهتنى بود قاتل وهو متلفي ... وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هي من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهي عن الاصمعي (وقال) ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وماسوى ذلك الدود ليس بنغف (وروى) مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال و يبعث الله ياجوج وماجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله فرسى قتلي و قيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها (حكاية الهالة)

(روى) ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعو قال كنت عند كعب الاحبا ر وهو عند عمر بن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المؤمنين الا اخبرك باغرب شيء رايته فى كتب الانبياء ان هامة جاءت لسليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام ياهامة اخبريني كيف لاتا كلي الزرع قالت يا نبي الله ان ادم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين) فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور واذا مررت عليها قالت اقول ويل لبنى ادم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين في صياحك قالت اقول تزودوا ياغافلون وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء (وفى كتاب فردوس الحكم) قال اية من كتاب الله تعالى من قرأها يؤمن من الهوام (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) (فائدة) اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابى الفرج الجوزى ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرفقه شخص في الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هي قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهم ديك ابيض فاساله عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا اسالك حاجة قال وماهي قلت فاذا كان الانسان مارد لا تعمل فيه العزائم والح بالادمى منا ما دواؤه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهام المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البرى ويقطر فى انفه الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا قال الماسك له يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك عند العجوز فسالتها بيعه فابت فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لى من بعيد وقال لى بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج لى من ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربوننى ويقولون ياساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة عندنا بجنى وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البرى فاتوبها فشددت ابهامى المصابة شدا وثيقا فلما فعلت بها صاح قائلا وانا علمتك على نفسى ثم قطرت من الدهن فى انفها الايمن اربعا

وفى الايسر ثلاثا فخرج من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شيطان

ومن كلام الاحوص فى حضرة يزيد غنت جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر

ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادرى قال ابعثو الى الزهرى وكان قد ذهب من الليل شطره فاتى به فلما صعد اليه قال لا باس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وساله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال مافعل به قد اطال حبه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا

«وقال الشاعر» كعصفورة فى يد طفل يهينها تذوق مرار الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروى البيهقي فى الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الى الفخ وقال مالك متغيبا فى التراب فقال للتواضع فقال لم انحنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة التي فى فيك قال اعددتها للصائمين فلما تناول الحبة امسك الفخ عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقك فلا خير فى هذه العبادة اليوم انتهى (قال) الشافعي رضى الله عنه أربعة أشياء تزيد فى الجماع اكل العصافير وأكل الاطريفل واكل الفستق وأكل الجرجير واربعة أشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين

(الامام احمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه)

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا وأسلم يوم موته رضى الله عنه عشرين الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى (وقال) الامام النووى فى تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصاري والمجوس وقال محمد ابن خزيمة لما بلغنى موت الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه اغتممت غما شديدا فرأيته في المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا أباعبد الله ماهذه المشية فقال مشية الخدام فى دار الصلاة فقلت مافعل الله بك قال غفرلى وتوجنى والبسنى نعلين من الذهب وقال يااحمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق ثم قال الله تعالى يااحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن في دار الدنيا فقلت يارب اسالك بقدرتك على كل شيء ان لاتسالنى عن شيء واغفرلى كل شيء فقال جل وعلا يااحمد

هذه الجنة فادخلها (وانشد) بعضهم تاريخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام ابي حنيفة والامام مالك والامام الشافعي والامام احمد بن حنبل

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ومالك في قطع جوف ضبطا والشافعي صين بيرند وأحمد بسبق أمر جعد فخذ على ترتيب نظم الشعر ميلادهم فموتهم فالعمر

وكذا في تاريخ الائمة الخمسة المحدثين الامام الترمذي وابو داود والامام مسلم والنسائي والامام البخاري (وقد جمع بعضهم ذلك في بيت واحد)

اذا رمت الحديث فلذ بخمس تكن مثل المسافة في الحياة
تعطر درعه مارص نسج بتور للمحدث للوفاة

بيان ذلك ان التاء اشارة للترمذي والدال اشارة لابي داود والم اشارة للامام مسلم والنون للنسائي والباء للبخاري والله اعلم (ومن كلام الشافعي رضي الله عنه)

لم يدر طعم الفقر من هو في غنى ومصحح الاعضاء ليس كمبتلي
كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل وتبسم من تحته قلب شجي
قد صادفته غمة لا تنجلي والناس جمعا عند كل كفوءة والهم مفترق ولا احد خلي
لو سود الهم الملابس لم تجد بيض الثياب على امرء في محفل
واذا اراد المرء يجلو همه عن نفسه من نفسه لا ينجلي

(قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك) ذكر العلامة الشمسي العلقمي في حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ان ابي أخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فاتني بابيك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام و يقول لك اذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تاخذ ماله فقال يارسول الله هل انفقه الا على احد عماته أو خالاته أو على نفسي فقال عليه الصلاة والسلام ايها الشيخ دعنا من هذا اخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته اذناك فقال الشيخ والله يارسول الله مايزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا سمعته اذناي فقال له قل فانا اسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا تعل بما أسدي اليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالقسم لم أبت
اسقمك الا ساهرها أتململ كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيناي تهمل
تخاف الردي نفسي عليك وانها لتعلم ان الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التي لها مدة قد كنت فيه اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلباب ابنه وقال انت ومالك لابيك انتهى

(ولما) عزم احمد بن طولون على بناء الجامع الموصوف به فى مصر القاهرة اتفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وارباب الشعائر والبيوت فى كل شهر عشرة آلاف دينار وللصدقة في كل يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة (منها) ان فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت فسالت امها واباها ان تخرج معهما الى السوق فوعداها بذلك فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الامير المسمى بالفيل وعاد الاب والام وتركاها ولم يشعر ابوها فبقيت البنت حائرة لا تدرى اين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها ثم امر الجوارى يغسلنها وينظفنها ويلبسنها احسن الملبوس ويطيبنها بانواع الطيب و يجلينها له ففعلن ذلك فدخل عليها وازال بكارتها وابوها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الاماكن فلم يقفا لها على خبر فلم يزالا يبكيان فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج ابوها وفتح الباب فقال الرجل لابيها ان الامير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لاحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه وبين ابى البنت صداقة فجاء اليه واخبره بخبره فصعد واذن فسمعه احمد بن طولون فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعى بابو البنت وخباهما فى خزانة وكان بوقت مجىء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له يهنيك بالعروس الجديدة فقال له ومن اين لى عروس جديدة قال اتنكر منى وهذا ابو الجارية وامها واخرجهما اليه فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له احمد بن طولون ارفع راسك ثم قال لابيها تزوج جاريتك مملوكى هذا على صداق قدره الف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجله فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود امر السياف يضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع راسه وقال احمد ابن طولون لابي الجارية ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقى من تركه فامضوا مع السلامه فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على افعاله فانظر الى هذا العدل العظيم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (ومما نقل عن بعضهم)

توق رعاك الله تسعا من البشر ... فصحبتهم تفضى الى البؤس والضرر
وهم احول مع اعرج ثم احدب ... كذا كوسج ايتلو نشاط مع الكدر
واياك والانف الطويل ثم اصفرا ... فانهما بيت الخيانة والخطر
كذا غائر الصدغين خارج جبهة ... كذا ازرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو تحيا سليما من الردى ... و باعدهمو ياذا الفراسه والنظر

بحمد الله ذى القوة والباس قد تم طبع كتاب اعلام الناس بالمطبعه اليوسفيه بمصر سنة ١٩٢٦

(فهرست كتاب اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بنى العباس)


Bibliotheca Alexandrina
04228740